الجمهوريـــة الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة

وزارة التعليـم العالــي والبحــث العلمــي

جامعــة الجيلالي بونعامة –خميـس مليانــة–



كليـــة الآداب واللغــات

قسم اللغة العربيـة وآدابهـا

صور الشـــرق في روايـــة

" سلالم الشرق" لأميــن معلوف

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: مناهج نقدية

من إعـداد الطالبـتين:

- أسماء بورحلة
- أسماء قسوس

إشراف الأستاذ:

* هجيرة بوسكين

السنة الجامعية :2016 –2017

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

الحمد لله و الشكر أولاً و آخراً لبديع السموات و الأرض، ذي الجلال و الإكرام و العزة التي لا ترام، للمولى عز و جل

الذي أمدنا بالصبر و القوة لإجتياز المحن و الصعوبات .

نتقدم بالشكر الجزيل إلى : الأستاذة المشرفة : هجيرة بوسكين التي سارت معنا إلى آخر المطاف ولم تبخل علينا

بنصائحها القيمة و التي أحاطتنا رعايتها العلمية بما قدمته لنا من توجيهات في الجانب المنهجي للبحث،

فلك منا كل الثناء و التقدير، بعدد قطرات المطر و ألوان الزهر و شذى العطر على جهودك الثمينة و القيمة ،

من أجل الرقي في مسيرة بحثنا .

و أقدم شكري و إمتناننا إلى الأساتذة : أعضاء اللجنة المناقشة الذين تكبدوا عناء تصحيح و تدقيق ما ورد

في البحث من قضايا مختلفة .

نسأل الله العظيم أن يجزي الجميع عنّا خير الجزاء .

لكم جميعا فائق الإحترام و التقدير

إهداء

قال سبحانه وتعالى" ولا تنسوا الفضل بينكم"

إلى من كلله الله بالهبة والوقار....

إلى من علمني العطاء بدون العطاء.

والدي العزيز " عبد القادر"

إلى ملاكي في الحياة ...

إلى معنى الحب ومعنى الحنان والتفاني

إلى بسمة الحياة وسر الوجود وحننها بلسم جراحي

إلى أغلى الحبايب أمي الغالية .

إلى من يجمعنا دما واحدا إلى سندي في الحياة وشرايين قلبي النابض بحبهم

إلى إخوتي : ناصر وليم

إلى براعيم بيتنا : يانيس ، أنفال، رزان

إلى من أحبه وأفتقده كثيرا جدي الغالي رحمه الله

أسماء

الإهـــــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من قال فيهما عز و جل :

>> و قل ربي إرحمهما كما ربياني صغيرا <<

إلى من كان دعاءهما سر نجاحي و حنانهما بلسهم جراحي

أمي الحبيبة

إلى من حصد الأشواك من دربي ليمهد لي طريق العلم

أبي

إلى أخي و رفيق دربي في هذه الحياة .... إلى من رأى التفاؤل

بعينيه و السعادة في ضحكته

أخي

إلى من رافقتني بضحكتها البريئة .... شمعة دربي التي تنير ظلمة حياتي

أختي

إلى الإخوة و الأخوات إلى من تحلوا بالإخاء و تميزوا بالوفاء و العطاء، إلى ينابيع الصدق الصافي

إلى من معهم سعدت و برفقتهم تخطيت أحزاني، إلى من كانوا معي على طريق النجاح و الخير،

إلى من عرفت كيف أجدهم و علموني أن لا أضيعهم .

أسماء

مقدمة

مقدمـــة:

تعد الصورة التي يشكلها " الأنا " عن " الآخر " من أهم مباحث علم الصورة المقارن وأكثرها حضوراً في الساحة الفكرية والأدبية العربية في السنوات الأخيرة نظراً لما يثيره هذا اللقاء الحضاري بين " **الأنا الشرقي** " و" **الآخر الغربي** " من إشكاليات ذات جذور فلسفية وأبعاد سياسية ودينية وثقافية في الخطاب الأدبي بشكل عام والروائي منه بشكل خاص وكثيرا ما تنتج هذه الإشكاليات في علاقة معقدة بين العالمين **الشرقي والغربي** يسودها سوء التفاهم الذي غالبا ما يقضي إلى حالة من المواجهة الصدامية التي كان للإستعمار دور كبير في حدوثها، كما للإستشراق قبله دور بارز في تغذية المخيلة الغربية بمجموعة من الصور الوهمية القائمة على الأحكام المسبقة التي أرادت أن تختزل الشرق في جملة من السمات الدونية عندما وسمته بالتخلف و التعصب مقارنة بالتقدم و التفوق الغربي

وعليه تطمح هذه الدراسة الموسومة **بصورة الشرق في رواية** " **سلالم الشرق** " **لأمين معلوف** إلى محاولة الكشف عن عالم و تمظهرات صورة الشرق في الخطاب الروائي العربي الذي رصد العلاقة القديمة والمتجددة بين **الشرق والغرب** من خلال البحث في التاريخ المشترك الذي يجمع العالمين الشرقي والغربي، ولذا محاولة الكشف عن رؤية المثقف والروائي العربي لواقع العلاقة بين **الشرق و الغرب** بدل محاولة البحث عن مظاهر اللقاء الإنساني بينهما .

بناءً على ما سبق جاء إختيار هذا الموضوع تلبية لرغبة ذاتية لدينا في معرفة مدى مساهمة الروائي العربي في نقل وتجسيد صورة للذات (شرق) ضمن الخطاب الروائي، تؤكد خصوصية الذات العربية وتميزها ومدى فاعليتها في تأسيس الواقع والتاريخ بعيدا عن هيمنة وزَيْفِ الأحكام المسبقة بالاحتكام على المرجعية التاريخية وما تنقله من وقائع وأحداث عبرت عنها رواية " **سلالم الشرق** " **لأمين معلوف** وغيرها من الروايات ذات المرجعية التي حاولت أن تقدم طرحاً فكرياً وأدبياً فنياً جديداً لحضور الشرق في البناء الروائي .

وضمن هذا المسعى تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الإشكالية الآتية: **كيف تمظهرت صورة الشرق في رواية " سلالم الشرق " لأمين معلوف إلى أي مدى ساهم تحليل بنية الخطاب السردي لرواية " سلالم الشرق " في إظهار سمات وحدود العلاقة بين الشرق والغرب ونظرة أحدهما للآخر ؟**

وللإجابة عن هاته الإشكالية قسمنا بحثنا هذا إلى فصلين إثنين خصصنا الفصل الأول منهما إلى البحث في أثر افرازات الإستشراق ومخلفات الظاهرة الاستعمارية في تشكيل ورسم صورة الشرق في الخطاب الروائي العربي بشكل عام من خلال وقوفنا بداية عند دور الإستشراق في ميلاد ثنائية **الشرق والغرب،** ثم البحث عن كيفية إنتقال هذه الثنائية (الشرق / الغرب) إلى مجالات بحث علم الصورة المقارن لتقترن في الأخير في معظم الأعمال الروائية العربية بثنائية (المستعمِر / المستعمَر) .

أما الفصل الثاني فقد ضم حديثنا عن تمظهرات صورة الشرق في رواية "**سلالم الشرق**" **لأمين معلوف،** حاولنا من خلاله الكشف عن إرتباط تشكيل " صورة الشرق " بالمرجعية التاريخية من جهة و بالخصائص الفنية للمتخيل من جهة أخرى، كما حاولنا أيضا دراسة صورة اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب في الرواية من خلال تحليل الشخصيات وإبراز سمات النظرة المتبادلة بين الأنا والآخر (الشرق والغرب)، وكذا محاولة تفكيك أهم المرتكزات الفكرية والإيديولوجية التي تؤسس لنظرة الآخر الغربي للأنا الشرقي مع الحرص على وضعها في سياقه التاريخي والثقافي الذي إنبثقت منه، في حين ضمت الخاتمة عرضاً لأهم النتائج التي توصل إليها البحث .

ومن أجل الوصول بالبحث إلى النتائج المرجوة إعتمدنا على المنهج البنيوي الوصفي التحليلي الذي وصفناه في سرد و تحليل تمظهرات صورة الشرق في الخطاب الروائي بشكل عام وفي رواية " سلالم الشرق " بشكل خاص وبالإضافة إلى المنهج المقارن الذي وظفناه

مقدمـــة:

في تقديم مقارنة بين صورة الأنا الشرقي و الآخر الغربي و نظرة أحدهما على الآخر في " رواية سلالم الشرق " .

ومن جملة الدراسات السابقة التي إعتمد عليها بحثنا في مراحل إنجازه المختلفة نذكر

1-الشرق المتخيل – رؤية الغرب للشرق المتوسطي – **لتيري هنتش** .

2- صورة الآخر – العربي ناظراً و منظوراً إليه – **لطاهر لبيب** .

3- الإستشراق - **لإدوارد سعيد**

4- " سرد الآخر " - الأنا و الآخر عبر اللغة السردية - **لصلاح صالح** .

و لأن كل بحث لا بد أن تعترضه صعوبات حيث واجه بحثنا هذا جملة من المعيقات نذكر منها :

أ- قلة المراجع والمصادر التي تناولت صورة الشرق في الرواية العربية.

ب- ضيق الوقت المخصص لإنجاز المذكرة .

وفي الأخير نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير والعرفان إلى الأستاذة الفاضلة هجيرة بوسكين التي لم تبخل علينا بتقديم النصح والتوجيه في الجانبين المعرفي والمنهجي ليستطيع هذا البحث الخروج إلى عالم النور .

الفصـــــل الأول :

صورة الشرق بين إفرازات الإستشراق ومخلفات الظاهرة الاستعمارية.

المبحـث الأول : ظـاهرة الإستشـراق ومـيلاد ثنائيـة الشـرق والغرب .

المبحـث الثـاني : علـم الصـورة المقـارَن وتمـثلات الـذات والآخر (الشرق / الغرب) .

المبحـث الثالـث : تجليـات صـورة الشـرق فـي الخطـاب الروائي العربي في إطار ثنائية (المستعمَر /المستعمِر) .

المبحث الأول :

ظاهرة الإستشراق وميلاد ثنائية (الشرق والغرب) .

1- مفهوم الإستشراق .

2- مفهوم الشرق و الغرب .

3- تجليات الشرق و الغرب في الخطاب الروائي العربي .

ليس نقد الإستشراق، >> أي تفحص مجموع المعارف و العلوم التي تتخذ من الشرق موضوعا للبحث و الدراسة شيئا جديدا في حد ذاته، فقد كان الإستشراق منذ بداياته موضع جدل و إنتقاد، حتى بين طائفة الباحثين الذين أطلقوا على أنفسهم أو أطلق عليهم الآخرون لقب المستشرقين <<[1]

لقد عكف المستشرقون على التدريس أو الكتابة أو إجراء البحوث في موضوعات خاصة بالشرق، >> سواء كان ذلك يتصل بجوانب الشرق عامة أو خاصة و الإستشراق إذن وصف لهذا العمل <<[2] .الذي سعى في تحقيقه الكثير من الباحثين و الدراسيين الغربيين الذي ألهمهم الشرق فنحن هنا أمام أشكال يحصرنا بين مُستشرق تأثر بالشرق و آدابه و فنونه حقيقة و مُستشرق آخر أخذته الإغراءات و مطامعه و خضوعه السياسي .

و لكي نحدد مفهوم الإستشراق، بكونه >> إتجاه فكري يعنى بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة و حضارة الإسلام العرب و الإسلام بصفة خاصة، و قد كان مقتصرا في بداية ظهوره على بداية الإسلام و اللغة العربية، ثم إتّسع ليشمل دراسة الشرق كله، بلاغته وتقاليده و آدابه <<.[3]

1-مفهوم الإستشراق : Orientalisme

يشير هذا المصطلح في مدلوله الأساسي أو المتداول إلى الإهتمام العلمي

أو الأكاديمي الغربي بالثقافات الشرقية أو الآسيوية تحديدا بما في ذلك الشرقين الأقصى والأدنى بما يتضمنه ذلك الإهتمام من دراسة، و تحقيق، و ترجمة، و من ناحية أخرى تشير

---

[1] ضياء الدين ساردار، الإستشراق صورة الشرق في الأدب و المعارف الغربية، تر، فخري صالح، هيئة أبوظبي للسياحة و الثقافة، ط1، أبوظبي – أ.ع.م ، 2012 ، ص 9 .

[2] إدوارد سعيد، الإستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر، محمد عناني، دار نيجوين العالمية ط1، القاهرة – مصر 1995، ص 44 .

[3] مقدمة حول الإستشراق و المشرقين، من الموقع http//islam.web.net، الشبكة الإسلامية 2003 .

العبارة إلى توجهات في الفنون الغربية سواء التشكيلي منها أو الأدبي " إستلهم " الشرق بمقتضاها و وظف فنيا .[1]

إن الإستشراق وفق ما يراه " **إدوارد سعيد** " أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي

و المعرفي بين ما يسمى " **الشرق** " و ما يسمى " **الغرب** " و هكذا فإن عددا بالغ الكثرة من الكتاب من بينهم شعراء، و روائيون، و فلاسفة، و أصحاب نظريات سياسية

و إقتصاديون و مديرون إمبراليون، قد قبلوا التمييز الأساسي بين " **الشرق** " و " **الغرب** " بإعتباره نقطة إنطلاق لوضع نظريات مفصلة، و إنشاء ملامح و كتابة روايات و أوصاف إجتماعية دراسات سياسية عن الشرق وعن أهله، و عاداته، و عن عقله، و مصيره[2].

وعليه " **فالإستشراق** " مصطلح لم يعد يتمتع بالخطوة القديمة، فالمتخصصون يفصلون إستخدام مصطلح الدراسات الشرقية أو مصطلح دراسة المناطق لسببين، السبب الأول هو أنه يتّسم بقدر أكبر مما ينبغي من الغموض و التعميم، و الثاني هو أنه من خلال معانيه الإيحاء بالإستعلاء الذين كانوا المديرون الإمبرياليون، الأجانب يتسمون به في عهد الإستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين[3].

و هذا نجد عددا من المستشرقين الذين يفضلون أن يصنفوا بأنفسهم علماء في أي شيء إلاّ أن يكونوا مستشرقين أمثال المستشرق الأمريكي " **جون أسبوزيتو** "

---

[1] ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تياراً و مصطلحاً نقدياً معاصراً المركز الثقافي العربي، ط3، المغرب، 2002 .

[2] إدوارد سعيد " الإستشراق "، المرجع السابق، ص 47 .

[3] المرجع نفسه، ص 44 .

و المستشرقين الفرنسيين : مثل : " **مكسيم رودنسون** "، و " **جاك توبي** " و المستشرقة الرومانية " **نادية أنجيلسكو** " الذين يعتقدون بأنهم مؤرخون للشرق و ليسوا مستشرقين[1]،

و هذا حتى تبعد عنهم شبهة المساعي الإستعمارية التي إرتبطت بالإستشراق .

و التهرب من المصطلح لا يعني من إستمرار التمسك بالمضمون << والنظر إلى ثقافة بعيون ثقافة أخرى، أو عدم القدرة على تلبس الثقافة المنظور إليها في ظل التمسك بالثقافة الناظرة بما تحمله هذه الثقافة المنظور منها إتجاه من منطلقات دينية وتاريخية، و سياسية و إقتصادية ثم أخيرا إجتماعية، و إنتروبولوجية <<[2].

لقد كانت المعرفة التي إمتلكها المستشرقون من خلال دراستهم للشرق أرضية صالحة وخصبة لهذا الطموح، و التعالي للغربيين حتى غدت المعرفة خادمة للسلطة، أو التسلط << لقد رسم المستشرقون للشرق صورة غير صورته الحقيقية حيث جعلوه عالما من الخيالات

و الهلوسات و الغيبيات الذي يدرك عنه الحياة التي تدار بعقول واعية، و لا يفكر في مدارات الكون الذي تحكمه القوانين الطبيعية <<[3].

و لعل أهم التصورات التي تضمنها الخطاب الإستشراقي، و حاول تشويه عالمنا عن الشرق أنّ << الإسلام ليس دينا، و القرآن ليس وحيا، و محمد (رسول الله صلى الله عليه وسلم) ليس رسولا و يرتبط كل ما جاء به محمد (صلى الله عليه و سلم) بالتراث اليهودي المسيحي الذي يشترك معه جغرافيا و ثقافيا، و لهذا فمحمد متنبئ إستند إلى نصوص مسيحية و يهودية وحورها تحويرا أكسبها آفاقها الجديدة، خالف بها الأصل الذي نبعت منه، و لكن

---

[1] ينظر: علي عن إبراهيم أحمد النملة ، الشرق و الغرب، منطلقات العلاقات و محداداتها المركز الثقافي العربي، (دط)، الرياض – السعودية، 2005، ص 83 – 86 .

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 88.

[3] عبد القادر الرباعي، جهود إستشراقية معاصرة، في قراءة الشعر العربي القديم، دار جرير، ط1، عمان – الأردن، 2008، ص 11 .

نبوته وهم، ووحيه إدّعاء و القرآن نسخة مشوهة عن الأصل الذي تفرعت عنه وظلّت هذه النسخة تتطور إلى أن إكتملت في القرن التاسع ميلادي >>[1].

هذه الصورة التي رسمها الغرب عن الشرق لها إنعكاساتها الجغرافية على الحضارتين الشرقية / العربية و الغربية، فقد سعى الغرب جاهدا، للحد من إنتشار الدعوة الإسلامية

والحد من تأثيرها العالمي خوفا من هذا الوافد الجديد " الإسلام " الذي تربّع على عرش التاريخ، آخذا في الحسبان، << أن الحديث الآن يدور حول العدو الجديد للغرب وللحضارة الغربية المتمثل في الإسلام >>[2].

لقد نظر العلماء، والرحالة والكتاب المستشرقون إلى المشرق على أنه بلا حياة أساسا وأنه راكد، ومتخلف و بأمس الحاجة إلى إعادة الحياة إليه بواسطة الغرب، و قد تم ترويج ومؤسسة " و" شعبنة " تلك الصور حتى غدت جزءا من الثقافة العربية .[3]

من هنا لم تعد أوروبا بقيمها الجديدة تحصر تحركاتها داخل حدودها، لأنّ النمط الإقتصادي الجديد الذي أسّسته لا يعترف بالأطر الجغرافية ، إلاّ كمجال للإستثمار، وعلى الرّغم من التناقضات التي تسكن الكيان الأوروبي الجديد، فإنه جعل من التوسع أحد أهم عوامل إعادة إنتاج مقوّماته وفي هذه الشروط الجديدة تمت حملة " **نابليون بونابرت** " على مصر[4].

---

[1] المبروك المنصوري، الدراسات الدينية، المعاصرة من المركزية الغربية إلى النسبية الثقافية الإستشراق، القرآن ، الهوية، القيم الدينية، عند العرب و الغرب و اليابانيين، الدار المتوسطية للنشر، ط7، تونس، 2010، ص 60 .

[2] ينظر: علي بن إبراهيم أحمد النملة، شرق و غرب، المرجع السابق، ص 93 .

[3] حلمي ساري، صورة العرب في الصحافة البريطانية، دراسة إجتماعية للثبات و التغيير في مجمل الصورة، تر: عطا عبد الوهاب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت – لبنان، 1988 ص 58 .

[4] محمد نور الدين أفاية، الغرب في المتخيل الغربي، دار المنتخب، ط1، الشارقة – أ.ع.م، 1993، ص 23 .

هذا و يتفق الكثير من الباحثين على إعتبار حملة " **نابليون** " بمثابة محرّك للشرق أثار الحياة الكامنة، و بعث الروح فيها[1]، فدبّت في عروقها الحيوية، والنشاط، وعادت لتساهم في ركوب التطور الإنساني إلى جانب الحضارات العالمية .

لقد تركت حملة " **نابليون** " آثاراً بالغة، العمق في الوعي والمتخيل الغربي الإسلامي ضمن ما أنتجه الإستشراق الذي تكمن قيمته في كونه دليل للسيطرة الأوروبية الأمريكية على الشرق كما كان للمستشرقين، ضمن هذه الحملة و خارجها دور بارز في الحط من قيمة كل ما هو شرقي وتشويه الحضارة الإسلامية و خاصة الدين الإسلامي، إذ يعتبرون أن كل مجتمع يحكمه الدين الإسلامي هو مجتمع منغلق و متخلف سياسياً و ثقافياً و إقتصادياً

ومن هنا لم تكن حملة نابليون عسكرية فحسب، و لكنها كانت ثقافية أيضا .

وعليه فقد كانت توحيد هدف و رؤية الإستشراق تتم في كثير من الأحايين من خلال دوافع سياسية حين تتزاحم المشاكل المتصلة بالشرق أمام صانع القرار الغربي، فيستعين بعلماء الإستشراق لكي يكثّفوا جهودهم لإضاءة مناطق معينة، إعتماداً على مسلّمة سارت عليهاالثقافة الغربية زمنا طويلاً، وهي شدّة العلاقة بين المعرفة، والقوة، وإرتباط كل منهما بالأخرى، " **فنابليون** " لم يذهب إلى مصر إلاّ على ضوء حصاد المعرفة التي قد مدّها له الدراسات الغربية عن الشرق ونجاح قوته، إعتماداً على العلم ، فجر بدوره منابع أخرى لمزيد من المعرفة تمثلت << في إكتشاف الماضي كالحضارة الفرعونية أو إلقاء ضوء على الحاضر كما صنعت مجموعة العلماء الذين كتبوا كتاب " **وصف مصر** " والذين خططوا للبعثات من الفرنسيين وهو المبدأ نفسه الذي يحكم رسم خطط الساسة الإنجليز من أمثال "**جيمس بلفور**" في العقد الثاني من القرن العشرين >>[2].

---

[1] سالم المعوش، صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، بيروت – لبنان، 1998 ص 51 .

[2] أحمد درويش، الإستشراق الفرنسي و الأدب العربي، دار غريب، (دط) القاهرة – مصر 2004، ص 22 .

و بناءً على ما سبق، << لا يمكن للإستشراق أن يحرر نفسه من الإرتباطات السياسية و الاقتصادية، و لهذا إتّهم بعض الباحثين >>[1]، **إدوارد سعيد** بالإضطراب حيث قال بإمكانية تحرير الاستشراق من الإستعمار، فالإستشراق منتج إستعماري أساسي مهما إدّعى العلمية و الموضوعية أو الحياد، و يَزعُم أنّ الإستشراق لم ينته بعد، إلاّ أنّ إستراتيجياته تغيرت فإن كان الإستشراق القديم دفاعيا، يرمي إلى إيقاف المد الإسلامي نحو الغرب، فإنّ الإستشراق في مرحلة لاحقة كان إقتحاميا هجوميا يمثل مقدمة للإستعمار[2].

لم يكن الشرق في يوم من الأيام معزولا عن بقية أجزاء العالم، خاصة الغرب فالتاريخ يقودنا إلى إكتشاف الكثير من مظاهر الإحتكاك والتعامل بينهما منذ أن شعر الإنسان بضرورة الإتصال بغيره من الشعوب، وما كان يحصل في عالم الشرق كان يجد صداه في عالم الغرب و بالعكس، حتى كان لنا ذلك التراث الشرقي المنفتح في الكثير من وجوهه على التطورات العالمية القديمة والحديثة [3].

وعليه لقيت الحضارة العربية صداها في الحضارة الغربية، إذ كان الشرق و منذ مدة طويلة موضوعا للتفكير في إطار الإستشراق، فمنذ إنطلاقه في دراسة الشرق، وضع في حسبانه أن الشرق هو الطرف النقيض أو المضاد للغرب مما جعله يشرف على رسم صورة للشرق في أذهان الغرب تمجد الغرب و تحط من شأن الشرق.

وهذا التصور يدفعنا إلى التساؤل عن دور الإستشراق في ميلاد ثنائية الشرق والغرب في المتخيل الغربي، وإنعكاسات صورة الشرق في الخطاب الروائي العربي ؟.

لقد سعى الإستشراق من خلال ما أنتجه من خطابات حول الشرق إلى نشر نوع من الوعي يؤكّد إنشطار العالم إلى شطرين غير متساويين، (**شرق / غرب**)، و يؤدي إلى سلسة

[1] المبروك المنصوري، الدراسات الدينية المعاصرة، المرجع السابق، ص 54 .

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص 54 .

[3] سالم المعوش، صورة الغرب في الرواية العربية، ص 15 .

من الإهتمامات بالشرق لإدراكه على حقيقته ليسهل التخطيط و قيام المشاريع فيه >> إنّ الشرق هو صورة مزيّفة للغرب (.....) و الشرقي عاجز عن بناء نظام من الأشياء المشهودة إنّه لا يستطيع الإحساس بنظام تحميه القوانين و الدين و كل شيئ بالنسبة له (......)، إنّ الشرق الإسلامي في نظر **إدوارد سعيد** هو دائما روحاني سامي، قبلي، غير آري و جذري في توحيده<<[1].

ينطلق إدوارد سعيد في تصوره للإستشراق من المعطيات التالية : >> الشرق هو شرق والغرب هو غرب، و أبدا لن يلتقيا إن ضعف الشرق و تخلفه هو قوة و تقدم للغرب، إنّ الشرق القديم هو الشرق الحالي <<[2].

>> إنّ الشرق غير قادر على معرفة نفسه و المستشرق الغربي قادر على معرفة الشرق خلق الشرق ليكون متلازما مع حق أوروبا بحكمه، و السيطرة عليه، و الشرق هو إمّا مخيف وإمّا خاضع <<[3].

وإذا أردنا أن نضبط مفهوم كلمة " **الشرق** "، >> فإنّ التاريخ يعود بنا إلى جذورها الأولى[4]، فكلمة الشرق أخذت عبر التاريخ مدلولا إختلف من حقبة إلى أخرى كما هو الحال بالنسبة لكلمة " **الغرب** " ، فالشرق في القديم كان يعني تلك البقعة الممتدة على مساحة واسعة من آسيا و قسما من إفريقيا بما فيها البلاد العربية وما يعنينا من هذا الإمتداد هو أننا عند إستعمال كلمة شرق، فإن المقصود، يكون فقط البلاد العربية بشكلها الحالي

---

[1] سالم المعوش، صورة الغرب في الرواية العربية، المرجع السابق، ص 87 .

[2] المرجع نفسه، ص 88 .

[3] نبيل بيهم، الإستشراق علم موضوعي أم سياسة مقنعة، مجلة الطريق، ع5، 1981 ، ص 149.

[4] حيث أن هذا الإسم أطلقه الأوروبيون الكاثوليك على البلاد التي كانت خاضعة للإمبراطورية البزنطية منذ أن إنقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى شطريها المعروفين، و من ثم أطلقه الأوروبيون على بلاد الإسلام فيما بعد (ينظر، محمد راتب حلاق، نحن و الآخر، دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث و المعاصر، منشورات إتحاد الكتاب، العرب، (دط)، سوريا، 1997، ص1 .

والعرب بشكل عام منذ ما قبل الفتح الإسلامي[1].

هذا ويلاحظ "**تيري هانش**"، أنّ " **الشرق** " بإعتباره مفهوما يمثل نقيض "**الغرب**"

وليس له أي حدود معينة، بل إنّه يجوز أن يعني كل العالم الذي لا يدخل في دائرة الغرب، أو داخل إمتداده المباشر، و من هنا كان من الضروري، الإقتصار على << الشرق الأكثر قربا>> ذلك الذي لم يتوقف الغرب عن الإحتكاك به منذ قرون و الذي يشكل جزءاً من تاريخ المتوسط لذلك أسمته الشرق الأوسط، لإنّها صيغة، أقل عرفية من تعبير الشرق الأدنى أو الشرق الذي يضم العالم العربي، إيران و تركيا [2].

أمّا كلمة "**الغرب**" فقد حملت أيضا تحديدات مختلفة، لعل أهمها أنّ الغرب << مجموعة الدول التي تُكوِّن أوروبا بشكل عام، وأمريكا الشمالية وما يدور في فلك هذه الدول وينهج نهجها في السياسة والاجتماع، والاقتصاد، والتعامل الخارجي >>[3]، و مع الآن هذا المفهوم قد تغير مع التغيرات التي طرأت حديثا على المجتمع العالمي الكبير، فإنّنا سوف نعتبر هذا الغرب يشمل ما ورد ذكره في بداية الثورة الروسية عام 1987، والثورات الشيوعية الأخرى حتى عام 1945، حيث إنقسم " **الغرب** " إلى شرق و غرب << فالشرق العربي يختلف عن " **الشرق الأوروبي** " وبالتالي فإن التعامل مع الغرب، سيبقى دائما في إطار التبادل الحضاري من جهة، و في إطار عدوانية بعض الغرب على الشرق منذ القديم >>[4].

و لقد أكد هذه الفكرة الغربيون أنفسهم على لسان أحد باحثيهم بقوله << لقد إعتدنا نحن الأوربيون منذ مدة أن نطلق على مجموعة البلاد التي تنتمي إليها، إسم الغرب، و لم يعد هذا

---

[1] سالم المعوش، صورة الغرب في الرواية العربية، ص 70 .

[2] ينظر : محمد نور الدين أفاية، المتخيل و التواصل، ص 95 .

[3] المرجع نفسه، ص 95 .

[4] المرجع نفسه، ص 70 .

التعبير يعني وصفا جغرافيا خالصا بقدر ما يعني كيانا ثقافيا و إجتماعيا، وسياسيا وعسكريا[1].

من هنا أُعتبر" **الشرق** " و لعقود طويلة، موضوعا للتفكير في إطار الإستشراق غير أنّ العرب و المسلمين، بالمقابل – و بالرّغم من عظمة حضارتهم، في المرحلة الوسطية لم يحرِّروا إلاّ مشاهدات و مذكِّرات، تبتعد أو تقترب من الدقة للحروب و الغزوات ضد المشركين والكفار، و تنوع الإنتاج الغربي حول الشرق ليس له ما يماثله أو ما يقابله في الإنتاج العربي الإسلامي بخصوص التصورات المختلفة عن الغرب[2]، ففي تاريخ الثقافة الغربية ظلّ " **الشرق** " غالبا تكونيا" هلاميا "سواءاً على المستوى الجغرافي، أو الثقافي تكونيا يعكس متغيرات الثقافة الغربية، و إن ظلّت له ثوابت أو أنماط تفكير و تخيل مستقرتو من أبرز هذه الثوابت << أنّ الشرق نقيض الغرب سواء بالمعنى السلبي و هو الغالب أو الإيجابي، كما صُوِّر الشرق جنّة أرضية للحلم (عند المنطقيين أحيانا)[3].

من هنا نستخلص أن النظرة العامة للشرق في مخيال الغرب تتمحور أساسا حول تلك الصورة النمطية السلبية التي حاول الغرب من خلالها إثبات وجوده، وفي ظل هذا التناقض بين **الشرق** و**الغرب** حاول بعض الروائيين تجسيد ذلك في أعمالهم الأدبية وخاصة الروائية منها.

لقد عنيت الآداب الأوروبية بصناعة صورة شرق منمّط بالقوة لا يتعدى حدود المخيال من خلال ما قدمته من أعمال في القرن التاسع عشر والعشرين، إذ نشرت أعمال شعرية كثيرة في إنجلترا تتناول صورة الشرقي ولم يكن الفن القصصي أقل نصيبا في تصور الشرق وتوظيفه فنيا بل قد كان نصيب ذلك الفن بنوعيه الرواية و القصة القصيرة أكثر من نصيب غيره، في رسم صورة الشرق المتخيلة، فمن " **فلوبير** " في فرنسا إلى " **تاكاري** " في إنجلترا إلى " **إدغار ألن بو** " في الولايات المتحدة، تمتد خارطة ضخمة من الأعمال والأسماء التي عنيت بالشرق سواءاً

1 محمد راتب حلاق، نحن و الآخر، ص 4 .

2 محمد نور الدين أفاية، الغرب في المتخيل العربي، ص 13.

3 ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد العربي، ص 37.

بإستلهام أعمال شرقية مثل ألف ليلة و ليلة أو بالتوجه مباشرة إلى الشخصيات والأجواء التي يرى الكاتب فيها أنّها تصور عالم الشرق على نحوها[1].

وكثيرا ما كانت هذه العناصر تجتمع في عمل واحد مثلما حدث مؤخرا في رواية للكاتب الأمريكي، جون بارث عنوانها، الرحلة الأخيرة لشخص ما البحّار(1991 ، التي جمعت

قدراً هائلاً من المعلومات المتصلة بالشرق في قالب تمتزج فيه أجواء حكايات سندباد المغرقة بالخرافة بالأحداث السياسية التي عاشتها منطقة الشرق الأوسط في الآونة الأخيرة[2].

وبناءً على ماسبق ورثت الحضارة الإسلامية عدسة أخرى من خلالها تشكلت صورة الشرق الشائعة، ففي عام 1704 نشر" **أنطوان غالان** " ترجمته الشهيرة " **لألف ليلة وليلة** " وقد ظهرت الترجمة الإنجليزية عام1914[3]، فغدت " **ألف ليلة و ليلة** " أو الليالي العربية كما هو إستعمالها، مصدراً رئيسياً في صناعة المتخيل الغربي الأوروبي حول الشرق العجيب لأنها إنسجمت تماما مع حكايات الرحالة و آراء الباحثين التي كانت موجودة و متداولة فيما يخص الشرق.

---

[1] ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد العربي، ص 37.

[2] المرجع نفسه ، ص 36.

[3] ضياء الدين ساردار ، الإستشراق ، صورة الشرق في الأدب و المعارف الغربية ، ص 85.

المبحث الثاني :

علم الصورة المقارن وتمثّلات الذّات و الآخر

(الشرق / الغرب).

1- مفهوم الصورة و علم الصورة المقارن.

2- " الأنا و الآخر" في اللغة السردية.

3- صورة " الذات " و " الآخر " في الخطاب الروائي.

1-مفهوم علم الصورة :

يعرف علم الصورة في الأدب المقارن بأنه : << تعبير أدبي أو غير أدبي عن إرتياح ذي مغزى بين منظومتين من الواقع الثقافي >>[1]، يتيح لنا علم الصورة معرفة الإنسان للإنسان و عبر هذه المعرفة يبرز لنا الجوهر المشترك للإنسانية، وعند ذلك ننطلق إلى عالم الأخوة التي تجمع الأنا بالآخر، و لو تأملنا هذا الجوهر لوجدناه لا يتبلور إلا بالتفاعل مع الآخرين، من هنا تبرز أهمية الدراسات الأدبية المقارنة التي تقوم علاقاتنا مع الآخر[2].

يعد مفهوم الصورة : من ألصق المفاهيم بمفهوم الغيرية " **Altérité** " << كل صورة تنبثق عن إحساس مهما كان ضئيلا " **بالأنا** " بالمقارنة مع " الآخر" و " بهنا " بالمقارنة مع مكان آخر[3].

وعليه يمكننا القول : **إن الصورة المقارنة** في نظر الدارس تتشكل من تصورات موجودة بشكل مسبق داخل الثقافة الناظرة و مكانها ملتصق بالعالم الرمزي المسمى **بالمتخيل** << إن تقديم **صورة الآخر** يخضع لنوع معقد من الخيار الفكري المختلط بالمشاعر، فلا يتم الإنتباه إلى ما يسمح بالإختلاف (الآخر مقابل الأنا) أو التماثل (الآخر يشبه الأنا)، فكثيرا ما يكون التعبير عن الآخر نفيا له، إن تدرس الصورة وفق **أفكار مسبقة** ......، لذلك لا ينبغي علينا أن نهتم **بواقعية** الصورة>>[4].

---

[1] ينظر: دانييل هنري باجو، الأدب العام والمقارن، تر : عدنان السيد، إتحاد الكتاب العرب، دمشق – سوريا 1997، ص 86.

[2] خليل بروني، هادي نظر منظم، كاوة خضري، صورة مايا كوفسكي في شعر عبد الوهاب البياتي و شيركوبيكه س << دراسة صورولوجية في الأدب المقارن >> إضاءات نقدية (فصيلة محكمة) السنة الثانية، ع8، شتاء 1391 ش / كانون الأول 2012، ص 55.

[3] دانييل هنري باجو، المرجع السابق، ص 84.

[4] الطاهر لبيب، صورة الآخر، العربي ناظراً و منظوراً إليه، مركز دراسات الوحدة العربية ط1 ، بيروت – لبنان 1999، ص 34.

من خلال هذه التعريفات يمكننا القول : إن الصورة هي بمثابة المرآة التي تعكس واقع المجتمعات الثقافي، الديني، السياسي، الإقتصادي و الفكري.

و ببحثنا عن تمظهرات " **الأنا** " **و** " **الآخر**" (**الشرق / الغرب**) في النصوص الروائية العربية، لابد من الوقوف عند اللغة السردية بإعتبارها ميدان هذا الحضور، ذلك أن الذّات كثيرا ما يتم التعبير عنها بضمير المتكلم، في حين يتم التعبير عن الآخر بضمائر المخاطب.

2- الأنا و الآخر عبر اللغة السردية :

إهتمت الدراسات النقدية بضمير المتكلم بإعتباره الأبرز في التعبير عن الذات تعبيرا لغويا، وقد ذهب **إيميل بينفست** إلى أن الأنا : << هو الشخص الذي يقول القول يتضمن الصيغة اللغوية " **أنا** " >>[1]، << كما ذهب إلى أن هذه الأنا لا تكتسب حقيقتها وطبيعتها إلا من خلال الخطاب>>[2].

كذلك لا تدرك وظيفة لهذه الأنا إلا فيما ينعقد له من علاقات تواصل مع الآخر <<فكأنما علاقته بالآخر تسبق تجربته مع ذاته، ذلك أن الآخر قرين فعل القول، و التلفظ هو نتاج ذلك التفاعل[3]>>، و صنف بينفنست ضمير المتكلم إلى صنفين[4]، الضمير الشخصي الأول و يعني به : الدال على المفرد، و ثانيهما الضمير الشخصي الموسع، و يعني به : الدال على الجمع.

[1] محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية " تأسيس نحو النص " المؤسسة العربية للنشر (دط)، تونس، 2006، ص 1076.

[2] المرجع نفسه، ص 1073.

[3] شربل داغر، الشعرية العربية " تحليل نصي " دار توبقال، ط1، المغرب، 1988، ص 77.

[4] المرجع نفسه، ص 82.

ويشيد عز الدين إسماعيل بالصنف الثاني من أصناف الضمير المتكلم، و نقصد به الضمير الشخصي الموسع أو الخطاب الموسع، حيث يكون فيه << اللقاء الحقيقي بين الذات المتفردة والذات الجماعية >>[1].

وعليه مبحث الذات من المباحث الدقيقة المتشبعة التي تتباين المفاهيم و تتفاوت التحديدات فيها، ففي التراث العربي القديم مثلا لا نجد إهتماما به، بل لا نعثر في المعاجم على تعريف واضح دقيق وموحد يضبط حدود المقصود بالذات[2].

هذا و يعد البحث عن الذات أو تأكيدها عبر بناء صورة الآخر أمراً تشترك فيه كل الثقافات كما أن الموقف الفكري من الآخر" **الغرب** "، << هو تعبير عن تلازم بين العداوة والإعجاب على الأقل منذ تساؤل الشرقي عن سر تخلفه و تقدم الغرب، نقول الغرب تحديدا لأن الآخر هو الغرب في الخطاب العربي الإسلامي المعاصر >>.[3]

ويمكن القول : << إنّ الملامح الفنية للذات التي ظهرت في الدراسات الأدبية كانت في مجملها ملامح ذات جذور لغوية، إنطلقت في أساسها من آراء **إميل بينفيست** >>[4]، و دراسته عن الضمائر، فهو يرى أن الضمائر لا دلالة لها من خلال اللغة، و إعلان هذه اللغة عن دلالة هذا الضمير يكون من خلال السياق، الذي يحدده دلالة الضمير.

و " **للأنا** " سمات عديدة فهي تعني عند الفلاسفة المسلمين، الإشارة إلى النفس المدركة << المراد بالنفس ما يشار إليه كل أحد بقوله : أنا إنّ النفس لا معنى لها إلاّ المشار إليه بقولي أنا >>[5].

---

[1] عز الدّين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، دار العودة، ط5، بيروت – لبنان، 1988، ص 397.

[2] عبد القاهر الجرجاني – كتاب التعريفات، تحقيق و تقديم إبراهيم بياري، دار الكتاب العربي ط1، بيروت – لبنان 1985، ص 143.

[3] الطاهر لبيب، المرجع السابق، ص 196.

[4] رامان سلدن، النقد العربي، دار قباء، تر : جابر عصفور (دط)، القاهرة – مصر، 1988، ص 70.

[5] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج1، (دط)، بيروت – لبنان، 1982، ص 139 .

لقد تعددت وتنوعت آراء **بنفيست** في دراسته للضمائر اللغوية، حيث لا نستطيع تحديد دلالة الضمير، إلا من خلال اللغة، التي تكشف بدورها عن دلالة هذا الضمير الموجود داخل السياق فمثلا : " أنا " و " هو " و " هي "، و غيرها مجرد مواضع للذات تعلنها اللغة فعندما أتكلم " أنا " فإنّي أشير إلى نفسي بوصفي " أنا " و إلى الشخص الذي أخاطب بوصفه "أنت" ولكن عندما تجيب " أنت " فإن الوضع ينقلب فيصبح " أنا " " أنت " و" أنت" "أنا" ذلك لأننا لا نستطيع إقامة الإتصال اللغوي بيننا إلا إذا تقبلنا هذا الإنعكاس الغريب للضمائر[1].

بناءً على ما تقدم، يمكننا القول إن دراسة الآخر أمر لابد منه، ذلك أن << الآخر هو الكلية المزدوجة للكينونة الذاتية و تفويضها في الآن نفسه، و هو يتداخل و يتمرآى في سلسلة غير منتهية، تبدأ من أدق الإنشطارات الذاتية في علاقة الذات بالذات >>[2].

لم يعد هناك مهرب من الإتصال بالآخر، وخاصة ذلك الآخر الأقوى، و<< كل إتصال هو بالضرورة نموذج و تركيب لغوي و شيفرة وسياق >>[3] ، و ما زلنا نفتقر في عالمنا العربي الراهن إلى رؤية موضوعية دقيقة لآخر، و إلى إعتماد منهجية خاصة في التعامل معه.

تسمح لنا معرفة الآخر بإكتشاف أنفسنا، لذا نجد أن " الآخر " يحمل عدة معاني فلسفية غالبا تأتي بمعنى **الغير** المختلف كون " **الغير** " هو : << أحد تصورات الفكر الأساسية ويراد به ما يسوى الشيء مما هو مختلف أو متغير عنه، و يقابل الأنا، و معرفة الغير تعين على معرفة النفس >>[4].

وإذا عدنا إلى المعجم الفلسفي " **لالاند** " **Lalande** نجده يعرف الآخر بأنه <<أحد المفاهيم الأساسية للفكر التي يصعب إيجاد تعريف محدد لها : لذلك يمكن إعتباره مفهوم مضاد

[1] رامان سلدن، المرجع السابق، ص 125.

[2] صلاح صالح، سرد الآخر (الأنا و الآخر عبر اللغة السردية)، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ص 10.

[3] تدروف ترفيتيا، فتح أمريكا، تر: بشير السباعي – دار سينا، ط$_1$، القاهرة، (دت)، ص 145.

[4] المعجم الفلسفي، معجم اللغة العربية، مصر، عالم الكتب، بيروت – لبنان، 1979، ص132.

لما هو نفسه، ونعبر عنه أيضا بعدة ألفاظ ، " كالمختلف " أو" المغاير" أو" المتميز"<< [1] ومن هنا نستخلص أن مفهوم " الآخر" يحمل عدة ألفاظ تتغير بتغير مستخدميه في النظريات الفلسفية أو الوجودية.

الشرق والغرب في الرواية العربية

تعد الرواية من أقدر الفنون على تقديم تفاصيل الحياة بكل حقائقها و أوهامها، مما يتيح لنا دراسة إشكالية العلاقة بين " الأنا " و" الآخر " فيها، إذ تستطيع أن نفتح أما الملتقي الطريق لفهم الذات والآخر معا، فهي قادرة على تجسيد أفكارنا و مشاعرنا

وأحلامنا و طرح ما يعترضنا من إشكالات تعانيها " الأنا " في مواجهة " الآخر "، كل ذلك يفسح المجال >>لتقديم إضطراب رؤيتنا و قلقنا و إحباطنا، فيعكس تطور نظرتنا إلى ذواتنا وإلى الآخر مثلما يعكس أوهامنا وأفكارنا المسبقة التي كثيرا ما نجد أنفسنا أسرى لها فهي تشكل أسس تصرفاتنا وعلاقتنا مع الآخر <<[2].

ومنذ بواكير حركة النهضة العربية في النصف الأول من القرن التاسع عشر وحتى اليوم ، تطرح علاقة " الشرق بالغرب " نفسها كإشكالية فكرية وأدبية، وغالبا ما يتم التعبير عن هذه الإشكالية في الإنتاج الفكري والأدبي عن طريق المقابلة بين صورة " الذات " أو" الأنا " أو صورة " الآخر "الحضاري الغربي، مع فروق في الطرح تحددها مواقف ورؤى المفكرين والأدباء[3]، وقد تعاملت الرواية العربية منذ تجاربها المبكرة حتى الآن، مع هذه الإشكالية التي صارت قيمة محورية في الخطاب الروائي العربي.

---

[1] Vocabulaire technique et critique de la philosophie lalande.

[2] ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، المجلس الوطني للثقافة والفنون وللآداب، (د ط)، الكويت، 2013، ص 14.

[3] الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ، ص 811.

ومنذ نشأتها الباكرة في القرن الماضي، كانت الرواية العربية الاستعمارية مجالا **لدراسة** علاقة " الشرق بالغرب "، وظلّ هاجس حاضراً فيها، ومؤثراً في بنية خطابها، عبر مراحل تطورها المختلفة، منذ التجارب الروائية الأولى التي شهدت بعض التحفظ في تناول الموضوع وإلى أحدث التجارب التي تتّسم بالجرأة و المغامرة الفنية من ناحية و برؤية متميزة من ناحية ثانية ولعل إستمرار الرواية في التعامل مع هذا الهاجس، مع تعدد

وتنوع الرؤى والتجارب، يثبت حصانة الفكرة القائلة : << أنّ الرواية هي الجنس الأدبي الأقدر على التعبير عن علائق الإنسان الحديث المعقدة سواء على سعيد الذات أو على صعيد فهم المجتمع والكون وإستيعاب التحولات المتسارعة >> [1].

وعليه يفسح إتساع الفضاء الروائي المجال أمامنا كي نتأمل هواجسنا و وجهات نظر المتعددة، التي نواجهها في الحياة و تثير أسئلة حول " الأنا " وأزمات تعترض تشكيل الهوية، التي من بينها إشكالية العلاقة مع " الآخر "، وبذلك تتغلغل الرواية في الأعماق، لتناقش الإكراهات التي تعشش في اللاّوعي، فتفتح المخبوء في تصور " الذات " و" الآخر " وبذلك نتعرف على تلك القيود والأوهام، التي قد تحاضر إنسانية الإنسان و تسقطها في ظلمتها[2].

من هنا يتجلى دور الرواية في إيضاح و كشف حياة الشعوب القديمة و عاداتها الحديثة من خلال إبراز تاريخها وطرق عيشها (.....)و إظهار علاقة الشعوب مع غيرها،من خلال إحتكاك " الأنا بالآخر ".

لقد تجلت علاقة الذات بالآخر في عالم الرواية ، فكانت تتويجا لما قام به الشرق "الأنا" في رحلة التدارك الحضاري من خلال قيامه << بإرسال أبنائه في بحوث علمية إلى أوروبا للحصول على معارفها و علومها ثم العودة من جديد إلى شرقهم المتخلف للنهوض به وبعث دم جديد فيه، لكن هؤلاء الشباب الذين ذهبوا يطلبون العلم في أوروبا وجدوا أنفسهم، في بيئات

[1] لطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ، المرجع السابق، ص 814.

[2] ماجدة حمود، إشكالية الأنا و الآخر، المرجع السابق، ص 15.

تختلف عن بيئتهم وحضارة غير حضارتهم فواجهتهم ثقافات مختلفة ومفاهيم فكرية وعادات إجتماعية وقيم لا عهد لهم بها >>[1].

وعلى ضوء هذا الاتصال المباشر بين الشرق والغرب" الأنا و الآخر"، وبواسطته يظهر لنا أول عمل سجل لنا اللقاء الحضاري بين الذات العربية المثقفة والآخر العربي ، قام به **رفاعة رافع الطهطاوي** (1801 – 1873) الذي رافق إحدى هذه الرسالات إلى فرنسا فدرس الأنظمة الثقافية والسياسية فيها، وسجل إنطباعاته في كتابه **الشهير**

<< **تخليص الإبرير في تخليص باريز** >>[2] سنة 1834.

بينما تظهر معرفة الغرب لبعضهم من خلال ما قامت به الأدبية الفرنسية " مادام دوستال " خلال زيارتها الطويلة **لألمانيا**، وذلك في وقت تصاعد فيه العداء وسوء الفهم بين الشعبين الفرنسي والألماني، و أثناء الإقامة فوجئت الأدبية بمدى سوء الفهم والجهل الذي يعاني منه الفرنسيون، الذين يجهلون أبسط الأمور المتعلقة بالمجتمع و الثقافة والأدب والطبيعة في ألمانيا الأمر الذي جعلهم يرسمون في أذهانهم صورة لشعب حط غير متحضر، يتكلم لغة غير مفهومة، ليس له إنجازات أدبية وثقافية تستحق الذكر، إنّها بإختصار صورة يرسمها شعب لشعب آخر يعدّه عدوا له !.

لقد حاولت **مدام " دوستال** " أن تكتشف عبر رحلتها أن الشعب الألماني يتمتع بمناقب كثيرة (كالطيبة والإستقامة والصدق)، كما أنها قد فوجئت بجمال الطبيعة لا سيما نهر " **الراين** " و" **الغابة السوداء**"، و بغنى الأدب الألماني والمستوى الرفيع الذي بلغته الفلسفة الألمانية [3].

---

[1] شرف بموسى عبد القادر، أشكال الصراع الحضاري في الرواية العربية، مقاربة نفسية أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الأدب العربي الحديث، جامعة تلمسان، الجزائر، 2004، ص 08.

[2] روجر آلان، الرواية العربية، " مقدمة تاريخية و نقدية "، تر : حصية منيف، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، بيروت – لبنان، 1986، ص 21.

[3] ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، إتحاد الكتاب العرب، (دط)، دمشق – سوريا، 2000 ص 110.

وعليه لا يمكننا الحكم على شعب ما أنّه مثقف أو متخلف إلا بمعايشته، من خلال القيام بخطوة أو رحلة إستكشافية على ما كان يفعل المستشرقون الأوربيون معنا، فالإقبال على مثل هذه الخطوة يُعطي ثمارها.

وبالعودة إلى النصوص الروائية العربية التي تناولت العلاقة بين الشرق والغرب نجدها قد عكست لنا صورة عن علاقة مركبة و معقدة بين العالمين الشرقي والغربي علاقة تتسم بالقوة و التسلط والسيطرة الغربية على الآخر الشرقي << فالعلاقة بين الشرق والغرب علاقة قوة و سيطرة و درجات متفاوتة من الهيمنة المركبة <<[1].

فمن ناحية يوجد الغربيون، وفي مقابلهم يوجد الشرقيون العرب، وأفراد الجانب الأول يتصفون بأنهم (دون ترتيب معين للصفات) عقلانيون، مسالمون، متحررون، منطقيون قادرون على الإستمساك بقيم حقيقية، بريؤون من الريبة الطبيعية وأفراد الجانب الآخر لا يتصفون بأي منها[2].

تلك هي الصفات التي نقرؤها في معظم النصوص الروائية العربية التي جسدت العلاقة الحضارية بين الذات والآخر (الشرق والغرب) مثل :" **موسم الهجرة إلى الشمال** " للطيب صالح، بطل هذه الرواية " **مصطفى سعيد** " جاء ليطرح رؤية نقدية للغرب، من خلال الرواية التي أظهرت أزمتين حادتين يعاني منها الإنسان المعاصر : تتعلق الأولى بضعف التواصل الإنساني الإجتماعي والعاطفي ما بين الحضارات المختلفة، حضارة الأنا والآخر والثانية تتعلق بأبعاد التمييز العنصري وجوانبه المختلفة، يقدم الطيب صالح صورة قاتمة لهاتين الأزمتين حيث يكون الموت نهاية مأساوية لمثل هذه الأزمات والصراعات المدمرة <<[3].

---

[1] إدوارد سعيد، الإستشراق، ص 49.

[2] المرجع نفسه، ص 109.

[3] أحمد الزعبي، إشكالية الموت في الرواية العربية و الغربية، مكتبة الكتاني إربد ،(دط) عمان – الأردن ، 1994 ص 111.

تحكي هذه الرواية قصة شاب سوداني مسلم في رحلته للدراسة في لندن، والظروف التي عاشها في عالم مختلف عن عالمه في اللغة والدين والتاريخ والتقاليد والمفاهيم وتقدم صورة عن حياة متناقضة لشاب عزف في تجارب متنوعة، ثقافية، وفكرية، وعاطفية وجنسية، يرصد الكاتب خلال تلك التجارب آلامه النفسية سبب التمييز العنصري، وأيضا أبعاد الصدام الحضاري والديني والإجتماعي بين عالمين متناقضين في الماضي والحاضر[1].

كما تتجسد علاقة (الأنا بالآخر) في الرواية من خلال الشخصية التي تنتمي إلى الشرق و هي " **مصطفى سعيد** " الذي أتى لمواجهة الغرب المستعمِر، و تمثل (**الآخر**) في المرأة الأوروبية التي ترغب بالحصول على زوج إفريقي أسود اللون.

والبطل في هذه الرواية لم يكن يبحث عن علاقة عاطفية قائمة على التوازن، كما في رواية<< **عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم** >>[2]، بل كان هدفه الحصول على العلم والمعرفة.

كما نجد رواية " **الحي اللاتيني** " **لسهيل إدريس** 1953 قد تناولت قضية " الأنا " و"الآخر" فقد تجسدت صورة " الأنا " في البطل الذي يغادر " بيروت " على متن الباخرة في إتجاه باريس، من أجل الدراسة والحصول على شهادة الدكتوراه، و هو يأمل بمستقبل جميل وحياة جديدة بعيدا عن ماضيه، وتجسد " الآخر " في المرأة التي نجدها تمثل " الغرب " في معظم الروايات العربية: << تبحث عنها المرأة تلك الحقيقة التي تنساها، بل تتجاهلها لقد أتيت إلى باريس من أجلها >>[3].

بطل الرواية لم يحضى في " **الحي اللاتيني** " **باريس** بما كان يحلم به، فقد كان يطغى عليه الشعور بالوحدة والغربة، و إستولى عليه هاجس التعرف على إمرأة لتونس وحدته إلا أنه وجد صعوبة في ذلك كون النساء في باريس ليست كلهن بلا شرف << أما هنا، فعالم ضائع

---

[1] المرجع نفسه ، ص 111 ، 112.

[2] سالم المعوش، صورة الغرب في الرواية العربية، ص 154.

[3] سهيل إدريس، الحي اللاتيني، دار الآداب، ط7، بيروت – لبنان، 1977، ص 26.

الحدود بعيد المسافات ، يحس أنه لا يغدوا أن يكون فيه أكثر من ورقة جافة من هذه الأوراق الكثيرة التي تسقطها رياح الخريف عن الشجر>>[1].

غادر بطل الرواية الشرق متمسكاً بالقيم الدينية والعادات والتقاليد، إلى غرب منفتح ومختلف عن شرقه فوجد نفسه في صراع نفسي وفكري وحضاري بين **الشرق/ الغرب** أو**الأنا** و **الآخر**، فالمرأة الغربية تمثل له الإشباع النفسي والعاطفي والجنسي، بينما المرأة الشرقية فهي تجسيد للحرمان بكل أنواعه << حينئذ تتمرآ لنا الخصوصيات والسمات المميزة للذات على ضوء مقارنتها بصورة الآخر المتعدد لهذه الذات التي تتكون من فسيفساء تراثي / تاريخي / هوياتي يحفظ تفردها و إختلافها عن الآخر >>[2].

يمكننا القول أن الرواية العربية قد أولت إهتماما كبيرا بموضوعات الكتابة عن **الآخر** وجعلت من اللقاء الحضاري بين الشرق و الغرب – **الأنا و الآخر** – .

قدمت لنا تلك النصوص الروائية نوعا من المعرفة عن الآخر الشرقي و الغربي من خلال نصوصه الأساسية ومن خلال عاداته، الأمر الذي يسمح لنا بإصدار الأحكام حول حياة الشعوب و المذاهب التي تسودها التي قد تكون حاملة لعقيدة خاطئة "مقارنة بعقيدة الآخر الصحيحة" مما يؤدي إلى نوع من المعركة الإيديولوجية والدينية التي يقودها العارفون بالأمور، و التي لا ينبغي لها أن تغير " الوقائع " و يشكل هذا الموقف الجديد موقفا إزاء العالم الإسلامي (أكثر ممّا هو إيزاء الإسلام كدين)، إنّه <<تحول حقيقي للعلاقات بين الشرق والغرب>>[3] ينطلق من أسس ومرجعيات دينية أدت إلى حدوث صراع ديني إديولوجي بين العالمين الشرقي والغربي.

---

[1] سهيل إدريس، الحي اللاتيني ، المرجع السابق، ص 46.

[2] نصر الدين، بن غنيسة في بعض قضايا الفكرو الأدب، دار الأمة، ط1، الجزائر، 2002، ص 56.

[3] تيري هنتش، الشرق الخيالي و رؤية الآخر صورة الشرق في المخيال الغربي، الرؤية السياسية الغربية للشرق المتوسط، تر : عبد الكريم محمود، دار المدى، ط1، سورية – لبنان، 2006، ص 14.

إنّ موضوع الإختلاف الموجود بين الشرق و الغرب و نظرة كل واحد منهما للآخر لا يعود إلى تسامح ديني كبير من طرف الأوروبيين، بل لقد كان الأوروبي، على العكس من ذلك أكثر تعصبا و لا متسامحا تجاه المسلم مما كان عليه الأمر مع الإسلام إزاء المسيحية>>[1]، فأعداء الإسلام رغم إختلاف لغاتهم وأجناسهم وأهدافهم إلا أنهم حريصون على أن يكونوا وحدة واحدة ضد الإسلام والمسلمين.

لقد عبرت معظم النصوص الروائية الحضارية عن فكر الإختلاف و التعدد من خلال توظيف شخوص روائية نقلت لنا فكرة أساسية مفادها أن كل إنسان يختلف عن إنسان آخر يعيش معه في محيطه سواء في طريقة التفكير أو التعبير أو في طريقة إبداء الرأي، يؤدي هذا الإختلاف في المجتمع الواحد إلى وجود إختلافات بين " الأنا " و" الآخر " من ناحية تعدد الديانات وطريقة الكلام والمعرفة و كذا اللباس، فكل منهما مستقل بحد ذاته عن " الآخر " وكل منهما يجب أن يبرز ويمثل ذاته على أكمل وجه بأنه الأفضل .

ففي قضية تمثّلات الذات، ظل سؤال الوضع الوجودي للذات إنشغالا فلسفيا مركزيا في الغرب منذ " **ديكارت** " وقد بين " **كلارك** " أن نظرية " **دافيد هيوم** " عن الهوية الشخصية- تحديد تصوره أنه لا توجد ذات جوهرية ولكن فقط حزمة من الأفكار والإنطباعات قريبة جدا من الفكرة الهندوسية عن العقل، ومفادها أن << الفكر مسار نفسي ينتج عن الحالات النفسية للإنسان وأن أبسط أشكال المعرفة هي تلك الناجمة عن الحواس، وأنّ العقل هو الجهاز الذي يجمع الإنطباعات و يصلها بمعانيها[2].

ويمكننا الإمساك بتمثيل " الذات " وتمثيل الآخر في النصوص التي تؤلف حول أدب الرحلات وأوضاع المهاجرين العرب في البلاد الأوروبية وما يعانونه من صراع داخلي بين ثقافتهم العربية الروحانية الشرقية و الثقافة الغربية المادية.

---

[1] محمد نور الدين أفاية، الغرب في المتخيل العربي، ص 12.

[2] المبروك المنصوري، الدراسات الدينية المعاصرة، ص 40.

وبناءً على ما تقدم يمكننا القول : أن مفهوم الذات و الآخر تعد من أهم المفاهيم أوالإشكاليات التي تفرض نفسها للدراسة و البحث نظرا لما شهدته العلاقة بين الأنا و الآخر من توترات و صراعات شكلت مادة دسمة للروائيين الذين جسدوا طبيعة العلاقة بينهما من خلال توظيف شخصيات غربية وعربية / شرقية فمن لغة الخطاب السردي الذي نقل لنا المسار الطويل لتطور العلاقة بينهما، التي إرتبطت بأهداف كولونيالية / إستعمارية

وسياسية إيديولوجية، فصار الآخر بالنسبة إلى العرب غربا وبالنسبة للغرب شرقا.

المبحث الثالث :

تجليات صورة الشرق في الخطاب الروائي العربي في إطار ثنائية (المستعمَر / المستعمِر).

1- إرتباطات الظاهرة الكولونيالية بتشكيل صورة الآخر الشرقي.

2- تمظهرات صورة الشرق في الخطاب الروائي العربي.

1-إرتباطات الظاهرة الاستعمارية بتشكيل صورة الآخر الشرقي :

يعود تبلور فكرة الغرب لكينونة سياسية إلى القرن التاسع عشر*[1]، و يمكن أن نتتبع أصول الإستشراق و معظم تاريخه من خلال المواجهات التي حصلت بين العالم المسيحي وأقرب جيرانه أي الإسلام.

لقد شهدت القرون الوسطى و ما قبلها بقليل الحروب الصليبية على أرض الشرق << و كان من الطبيعي أن تسبقها حملة فكرية تحريضية ضد الإسلام، و أن يكون لهذا الدين المناوئون الذين يشوهون مبادئه، ربما يسهل مهمة الغزو الأوروبي للشرق(.....) و قد تجلت هذه الحملة الفكرية في أول ترجمة للقرآن الكريم فقد لحقتها من التشويه، ما لم يلحق كتابا آخر[2].

لطالما نظر الغرب إلى الإسلام على أنه القوة القادمة أو العدو القادم أو الخطر القادم وهو على ما يبدوا يخشى هذه القوة القادمة أو العدو القادم لإعتقاده أنها ستأثر مباشرة على معطيات الحضارة الغربية، تعيد الشعوب والحضارات إلى الوراء، وما ينبع ذلك من خسارة تطال بتربة الديمقراطية الغربية في المنزل والمكتب والمدينة والمقاطعة و الدولة[3].

[1] ضياء الدين ساردار، الإستشراق، صورة الشرق في الآداب و المعارف الغربية، ص 23.

[2] سالم المعوش، صورة الغرب في الرواية العربية، ص 74.

[3] علي بن أبي إبراهيم الحمد النملة، شرق و غرب، ص 25.

من هنا يمكننا القول إن الرغبة الأصلية كان الإسلام << ففي المواجهة بينه و بين الإسلام طور الغرب رؤية للشرق بوصفه موضعا يتعذر سير أغواره، موضعا للغرابة و مثارا للدهشة حيث تسكن العجائب و الغرائب و تعرض المشاهد الوحشية والبربرية[1].

لقد تسببت الحروب الصليبية مثلا في خلق و تكريس نوع من الصور و تمثلات للمسلمين ، << بوصفهم أشرارا و فاسدي الأخلاق فاسقين و برابرة جهلة، أغبياء، قذرين و من نوع أدنى، متوحشين و بشعين، مهوسين و عنيفين و من وجهة نظر العالم المسيحي، كان الإسلام الوجه المظلم لأوروبا >>[2].

وهكذا فإن التقابل بين الشرق و الغرب الذي بدأت أوروبا ببنائه لم يعد يعتمد على الإختلاف الديني فحسب بل وعلى الإختلاف السياسي كذلك ، فبعد الإختراق الاستعماري للهند و الصين، و الشرق الأوسط خلال القرن التاسع عشر، إستطاع " الغرب " لأول مرة أخذ دور سياسي أكثر بروزا، أي << بوصفه الدال على المشروع الإمبريالي الخاص بأوروبا في هذا الوقت بالذات بدأ "الغرب" يضم الولايات المتحدة التي كان يشار إليها بلفظ<<العالم الجديد >> و يدمج نفسه مع مفهوم الحضارة الذي سكّه فلاسفة التنوير ليعرفوا هدف الطفرة الإجتماعية التي عينوا هويتها بوصفها العمليات و المؤسسات التي تحدد تطورات الملكية الخاصة و تداول العمل النقدية >>[3].

[1] ضياء الدين ساردار، المرجع السابق، ص 23.

[2] المرجع نفسه، ص 23.

[3] ضياء الدين ساردار، المرجع السابق ، ص23.

من هنا أصبح مفهوم الحضارة الغربية هو المقياس الذي نقيس به الثقافات والحضارات الشرقية،بدلا من مفهوم العالم المسيحي<< لقد وضع التصنيف المفهومي" للغرب " مقابل مفهوم الشرق، و دلّ " الشرق " على كل ما ليس غربا و على بعض ما رغب فيه الغرب حقا <<[1].

وإذا عدنا إلى الجذور التاريخية بين الشرق و الغرب، نجد عدوانا تاريخيا و من غير الممكن إلتقاؤها و تعايشهما جنبا إلى جنب في إطار علاقة إنسانية و حضارية عالمية واحدة فالشرقي ينطلق في موقفه العدائي من الغرب من عدة حجج و تبريرات أبرزها، الطبيعة العدوانية للغرب ممثلة بالغزوات، و الحملات العسكرية المتكررة ضد الشرق >> منذ عصر الإمبراطوريات الأوروبية القديمة، الإمبراطوريتين اليونانية و الرومانية، مروراً بحملات الفرنجة في العصور الوسطى و إنتهاءا بالإحتلالات الغربية الحديثة و المعاصرة للوطن العربي و العديد من دول الشرق <<[2].

ولعل تبني الكيان الصهيوني للمشروع الاستعماري الغربي وتقديم الدعم العسكر والمالي و الإعلامي له في إحتلاله للأرض العربية قد ساهم في إشعال نار الحروب و إرتكاب المجازر في حق الغرب و المسلمين مستخدما مختلف سياسات القوة و القمع في مواجهة الدول العربية و الإسلامية الرافضة لوجوده الاستعماري في المنطقة [3].

---

[1] ضياء الدين ساردار، المرجع السابق، ص 24.

[2] إيمان صالح، جدلية العلاقة بين الشرق و الغرب، و هاجس الخوف المتبادل بجامعة حلب – سوريا، 2008 ص 01.

[3] ينظر : المرجع نفسه، ص 02.

يجد الباحث في تاريخ التوسع الإستعماري الأوروبي في العصور الوسطى والحديثة والمعاصرة، أن الأوروبيين سيروا الحملات العسكرية بدءا بحملات الفرنجة، وصولا إلى الإستعمار لبسط السيطرة و النفوذ على الضفّة الشرقية لحوض المتوسط، و ما رافق ذلك من إرهاق لأرواح مئات الآلاف و الملايين من العرب المسلمين، و نهب الثروة ونيل من ثقافات و قيم و معتقدات شعوب المنطقة الشرقية، و ممارسة أصناف من العبودية والإضطهاد بحقها الأمر الذي أدى إلى بروز نزاعات متطرفة يشوبها الحقد و الكراهية بين الشرق والغرب الأوروبي[1].

لطالما إعتبر الغرب أن الشرق المتخلف غير جدير بما يملكه من خيرات وثروات و أنه بحاجة للأفكار التنويرية الغربية ليخرج من دائرة التخلف و عليه فقد كتب السيد " **دوشا برول** " عن المصريين قائلا : << كم هي الأشياء التي يمكن أن صنعها مثلا هؤلاء الرجال لو كان أن ندخل إليهم الأفكار الأكثر صوابا، و أنوار الحضارة الأوروبية، إنّ مادة الشرق لا تتطلب منا سوى أن نعجنها بعبقرية الغرب لكي تنتج أبناءاً جديرين بها، و أوروبا هنا حاضرة لإضفاء القيمة على هذه الأرض اليابسة التي بقيت حتى اليوم خصبة دون فائدة، ستؤول تحت دقّة سيرها إلى أن تنتقل و بسرعة إلى حالة الإزدهار[2].

إنّ الأزمة التي كانت تكررها الاستعمارية، هي إبراز قيمة ذلك الذي إخترقته في بادئ الأمر مثلما هو حال الاستعمارية الفرنسية و التي خضعت بدورها إلى إجتياح ثقافي حقيقي .... بيد أن القوة المادية لأوروبا، إكتملت بسرعة و إتخذ، تغلغلها أشكالا أخرى، مع أن

[1] ينظر : إيمان صالح، جدلية العلاقة بين الشرق و الغرب ، المرجع السابق، ص02.
[2] تيري هنتش، الشرق الخيالي و رؤية الآخر، ص 265.

المدفعية لم تكن مطلقا بعيدة جدا، (هذا إن لم يرد ذكر إحتلال الجزائر الذي حصل بعد حرب حقيقية)[1].

2-تمظهرات صورة الشرق في الخطاب الروائي العربي

لقد إستأثرت العلاقة بين الشرق و الغرب، بين العرب و أوروبا بالمحاور الفاعلة لعدد من الروايات العربية منذ بداية عهد العرب بالرواية من شكلها الحالي، >>و ليس عبر أشكال السرد والتراجم، والآداب و الأخيار، فكثيرا ما لجأ الروائيون العرب إلى تناول هذه العلاقة <<[2] ضمن إطار ما يعرف بالصورة الأدبية و من هنا يمكننا التساؤل كيف تبلور أو تجسد ذلك الصراع بين الشرق والغرب في الخطاب الروائي العربي ؟

لعل أهم الأعمال الروائية العربية التي تقصت أبعاد وصور الصراع بين الشرق والغرب رواية **" موسم الهجرة إلى الشمال " " للطيب صالح "** >> إن في هذه الرواية إشارات حضارية تتحدث عن جدلية المستعمِر والمستعمَر، المقهور و القاهر على أن هذه الإشارات لا تكون محورا من محاور الرواية بل تؤلف جزءا من بناء المتكامل، أغلب الظن أن البطل الضعيف العاجز يجد أن وضعه مشابه للمسحوقين في الأرض، ليصوغ الحقد والإنتقام[3].

إنّ لهذا التفسير " الحضاري " خصوصيته في النص فالرواية تسلط الضوء على عقد الشاب السوداني أكثر مما تسلط الضوء على الصراع " الحضاري " الذي يمتصه الصراع النفسي ويحيله إلى ذاته.

---

[1] تيري هنتش، الشرق الخيالي و رؤية الآخر ، المرجع السابق، ص 265.

[2] ينظر : صلاح صالح، سرد الآخر، الأنا و الآخر عبر اللغة السردية، ص 96.

[3] ينظر : رجاء نعوم طنوس، ثنائية الشرق و الغرب، دراسات في نصوص أدبية معاصرة دار المنهل اللبناني ط$_1$، بيروت – لبنان، 2009، ص 47.

و من الروايات التي تحمل رؤية سياسية إنتقادية إتجاه العلاقة الشائكة بين الشرق المتخلف سياسيا و الغرب المتقدم مدنيا و حضاريا رواية " الشرق المتوسط " لعبد الرحمن منيف و التي تصور رجب إسماعيل المنبهر بحضارة الغرب أيّما إنبهار، و المعجب بمدينته أيّما إعجاب والمفتون سياسته العادلة وتشبثه بالديمقراطية الحقة و حقوق الإنسان في حين يصف دول الشرق المتوسط بالتخلف والإستبداد، و البطش[1].

وضمن هذا الطرح الاستعماري في تجسيد صورة " الآخر " المستعمر تندرج رواية " **خارطة حب** " للكاتبة " **أهداف سويف** " حيث يتوافق صوت شخصية " أنا " فيها مع صوت المؤلفة خاصة حين يتم تحديد أسباب إنجذاب الغربيين للشرق و التي ترجعها الكاتبة إلى أسباب إقتصادية أدت إلى الرغبة في إحتلال الأراضي الشرقية و الهيمنة عليها ، فأوروبا تحتاج مواد الخام لصناعتها، و إلى أسواق لمنتجاتها و إلى فرص عمل لرجالها، و قد وجدت ذلك كله في بلاد العرب[2].

من هنا تفضح الرواية ضمن لغتها السردية، و بنيتها الدلالية المساعي الإمبرالية مبررة ذلك الحالة الفصامية التي يعيشها الغرب فهو يعاني إزدواجا في الشخصية يصل إلى درجة يبيح فيها لنفسه التمتع بالديمقراطية، بينما يضع الشعوب الشرقية في خانة البدائية .

[1] ماجدة حمود، إشكالية الأنا و الآخر، ص 64 .

[2] المرجع نفسه، ص 64.

و من خلال تتبع الكاتبة لتاريخ الاستعماري البريطاني في مصر قامت بكشف التناقضات الغربية، فهم يراعون حقوق الإنسان في بلادهم أمّا في المستعمرات فيعاملون الأهالي بوحشية، كما حصل في حادثة " دانشواي " التي وثّقتها الكاتبة، فقد كان منظرا بربريا وحشيا[1].

وبناءاً على ما تقدم يمكن القول أن أوروبا الحديثة أفرزت ضمن تطورها الخصومي ميولات تدميرية وجدت تعبيراتها التواجدية في الحروب و في الحركات الإستعمارية<<[2].

أما في رواية **" أرض السواد " لعبد الرحمن منيف،** فقد أحاط الآخر نفسه بهالة العظمة إذ يبدوا منطلقا من دواع نرجسية تعمي عن رؤية الذوات الآخر، على حقيقتها الإنسانية لهذا لم يرى ممثل الفكر الإستعماري (القنصل الإنجليزي ريتش) الذات العرافية إلا في هيئة تابع أو عبدا لها وبما أن الوالي (داود باشا) قد أدرك هذه الحقيقة ولذلك وصفه لهذا القنصل بالذكر لكونه يعرف ماذا تعني بريطانيا العظمى، الآن و في[3] المستقبل

إنّ النظرة الفوقية التي هي وليدة القوة تبيح للقنصل ان يرى الشرقيين و قد غمرتهم السلبيات، لذلك رسم ملامح صورتهم وفق خطوط مسبقة، تتناسب مع أوهامه عنهم فقد سعى الغرب إلى جعل الخيال واقعا و سعى إلى تجسيده، يوافق ما يريد أن يعززه من دلالات تستصغره العراقيين و تؤطرهم بصورة مشوهة تجعلهم أشبه بطفل لا يفكر إلا فيما يرغب[4].

---

[1] ماجدة حمود، إشكالية الأنا و الآخر ، المرجع السابق، ص 66.

[2] محمد نور الدين أفاية، الغرب في المتخيل العربي، ص 52.

[3] ماجدة حمود، إشكالية الأنا و الآخر، ص 148 .

[4] المرجع نفسه ، ص 194 .

ومن خلال إستعراضنا السريع لبعض الشخصيات العربية في الخطاب الروائي العربي نخلص إلى أنّ الشخصية الغربية في الرواية العربية لم توظف إلا لتجسيد فكرة الهيمنة الاستعمارية للغرب الإستعماري على المنطقة الشرقية العربية ، خلال مراحل التاريخ المختلفة وبذلك لم يخرج التساؤل العربي لثنائية الشرق / الغرب عن إطار علاقة المستعمِر بالمستعمَر .

فالعلاقة التي تربط الشرق والغرب جدَ قديمة وغالبا ما كانت تحكمها العداوة، لأن الغربي دائما ينظر اليها كفريسة، أما نحن فنراه دائما أنه الغرب السامي والمتطور في كل شيء.

المبحث الثالث :

تجليات صورة الشرق في الخطاب الروائي العربي في إطار ثنائية (المستعمَر / المستعمِر).

1- إرتباطات الظاهرة الكولونيالية بتشكيل صورة الآخر الشرقي.

2- تمظهرات صورة الشرق في الخطاب الروائي العربي.

الفصل الثاني :

تمظهرات صورة الشرق في رواية " سلالم الشرق.

- **المبحث الأول :** -صورة الشرق بين واقعية التاريخ و فنّية المتخيل .

- **المبحث الثاني :** صورة اللقاء الحضاري بين الشرق و الغرب في الرواية .

المبحث الأول :

صورة الشرق بين واقعية التاريخ و فنية المتخيل .

لقد أخذ مفهوم " الشرق " عبر التاريخ مدلولا إختلف من حقبة إلى أخرى كما هو الحال بالنسبة لمفهوم " الغرب " فالشرق في القديم كان يعني << تلك البقعة الممتدة على مساحة واسعة من آسيا وقسما من إفريقيا بما فيها البلاد العربية (التي لم تكن تحمل هذا الإسم)[1].

ومن ضمن أهم الأعمال الروائية التي نقلت لنا صورة الشرق الإسلامي رواية "**سلالم الشرق**"[2] لأمين معلوف، التي تمتاز مجمل كتاباته بخطها التاريخي، ولعلّ ذلك ما يضفي خصوصية في تناول الشرق تقترب بها إلى الواقعية و تبعدها عن سلطة الأحكام المسبقة وأوهام المتخيل.

من هنا يمكننا التساؤل : إلى أي مدى نجح الروائي أمين معلوف في تناوله للشرق والإقتراب من الواقعية التاريخية والإبتعاد عن وهم الصور التخييلية ؟

---

[1] سالم المعوش، صورة الغرب في الرواية العربية، ص 70.

[2] " **سلالم الشرق** " إسم إطلق على عدد من المدن التجارية التي كان يصل عبرها مسافرو أوروبا إلى الشرق من القسطنطينية إلى الإسكندرية مرورا بإزمير و أفنة أو بيروت، كانت تلك المدن و لفترة طويلة من الزمن أماكن إمتزاج حيث كانت تختلط اللغات و العادات و التقاليد .

صورة الشرق بين واقعية التاريخ و فنية المتخيل .

تعتبر رواية " **سلالم الشرق** " **لأمين معلوف** بما قدمته من لقاء حضاري بين **الأنا** العربي المسلم/الشرقي و **الآخر** الغربي، و ما تناولته من وقائع و أحداث تاريخية جمعت الشرق والغرب مع مراحل التاريخ المختلفة مرآة عاكسة لما كان يحدث في الشرق وبالتحديد في المشرق العربي من أحداث سعيدة و أخرى حزينة أثناء فترات الاستقرار والسلم أو أثناء فترات الحرب، وما كان سائدا هناك من مظاهر تتعلق بنظام الحكم، و كذا ما خلفه اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب " **الأنا والآخر** " من تتابع على مستوى التاريخ والثقافة والعادات الاجتماعية...

لقد إستند **أمين معلوف** في بناء نصه السردي إلى المرجعية التاريخية في حقل الكثير من الأحداث التاريخية التي جمعت الشرق بالغرب، فشكل معمارية نصية بالإستناد إلى شخصيات مركزية وأخرى ثانوية خملها رؤيته حول الشرق والغرب، ومن أبرز هذه الشخصيات المركزية شخصية البطل الشرقي " **عصيان** " الذي روى لنا سيرته و مغامراته التي إمتزج فيها الأمل بالحب ونضاله ضد كل شيئ يقف في وجه الإنسانية و الحريات.

بدأت رحلة " **عصيان** " إلى المشرق (الشرق) عند تعرض بلده (تركيا) إلى أعمال شغب في أفنة و قد رافقه صديقه << أنت أغلى صديق لدي ومضيفي الأكثر كرما، أنت من لا نستطيع تركه دون ندم، قل لنفسك أن ما يجري لا نريده لا أنا ولا أنت لكننا لا نستطيع منعه[1]،لم يكن الصديق والمضيف يستمع، فهو يعد قراره منذ ساعة .

[1] أمين معلوف، سلالم الشرق، ورد للطباعة و النشر و التوزيع، ط2، تر: منيرة مصطفى، دمشق – سوريا 1998، ص 38.

>>و إذا رحلت معك ؟<<

>> إلى لبنان ؟ << [1]

تكشف لنا هذه الرواية >> عن أساليب الحياة العامة في العالمين : **الشرق و الغرب** ومظاهر التواصل في التعامل الإنساني بينهما و أشكاله عبر التاريخ قديما و حديثا و خاصة ذلك التبادل الثقافي و الحضاري بين الشعوب في كل من الشرق و الغرب << [2]

لقد صادف وصول البطل إل لبنان إقامة حفل زفاف جمع إبنة " **نوبار** " الأرمني اللبناني برجل تركي سنة 1914، في أجواء مفرحة و بهيجة عبرت عن العالقات الطيبة التي جمعت الأرمن بالأتراك عبر التاريخ، إلا أن هذا العرس قد إعتبره الكاتب آخر عيد في التاريخ غنى فيه " الأرمن " و " الأتراك " و رقصوا معا، و قد حضر العرس " حاكم الجبل " الذي كان أرمنيا و" هانسي باشا " الموظف العثماني القديم، الذي إرتجل خطابا يتوافق مع المناسبة متحدثا فيه عن الأخوة بين شعوب الشرق و الغرب و بين شعوب الإمبراطورية العثمانية >> أتراك، أرمن، عرب يونانيين، يهود، الأصابع الخمسة ليد السلطة المبجلة و قد صفق له بحرارة <<[3]، تلت فترة السلم هذه فترة الحرب، فقد بدأت في ذلك الصيف حرب الأربعة عشر الذي يعتبرها كل من عاشها الحرب الكبرى، و بداية التأزم الصراع بين الشرق و الغرب >> فلم يكن هناك خنادق و لم نشهد أي خسارات و لم نتعرض للغازات السامة، عانينا من المعارك أقل مما عانيناه من المجاعات و الأوبئة، ثم من الهجرة التي أفرغت القرى من سكانها، بيوت كثيرة في جبل لبنان لم تعرف مواقدها النار من بداية الحرب و لفترات طويلة <<[4] >> إثر الحرب العالمية

[1] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 38.

[2] سالم المعوش، صورة الشرق في الرواية العربية، ص 09 .

[3] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 40.

[4] المصدر نفسه، ص 42.

الأولى جرت وبالا عظيما على الوطن العربي فحصلت في بعض أقطاره مجاعات **(لبنان)** وتردت الأحوال الاجتماعية و الصحية و إرفتعت إلى درجة قصوى نسبة الوفيات >> [1].

يعود بنا "**أمين معلوف**" ضمن نص سردي زاوج فيه بين الجانب التاريخي و الواقعي

والجانب الفني المتخيل إلى ما خلقته الحرب العالمية الأولى على العالم الشرقي وبالتحديد العربي (لبنان) من مجاعات و تردي الأحوال الاجتماعية و الصحية و ارتفاع إلى درجة قصوى في نسبة الوفيات، إنها صورة لشرق ينهار و يتداعى و يسقط في حالة من البؤس التي تختلف عن صورته المدهشة التي نقلتها لنا الكتابات الإستشراقية التخييلية، هي صورة تقترب إلى حد بعيد من الواقعية التي تفرضها المرجعية التاريخية و الكاتب قد نقل صورة الشرق العربي (**لبنان**) و معاناتهم حيث طرد السكان من أراضيهم من خلال الآخر الغربي وتعرضوا للتمييز القانوني والاجتماعي و السياسي و إنتهجت سياسة السيطرة والهيمنة في جميع المناطق المحتلة، سواء إتخذت السيطرة شكل الإستعمار، أو الإمبريالية[2].

و بالموازات مع ما كان يحدث في الوطن العربي " **لبنان** " بدأت المذابح في"**أضنة**" كما في كل أرجاء الأناضول و أخذت أرض الشرق تعيش أكثر لحظاتها بشاعة << وكانت إمبراطوريتنا تحتضر مجللة بالخزي والعار، ووسط أنقاضها، إندفع حشد من البلدان المسخ كل كان يصلي به لإخراس صلوات الآخر، وإنتشرت مواكب الناجين الأولى على الطرقات[3].

خلقت تلك الحروب الكثير من الخسائر المادية والبشرية إضافة على وجود <<أسرى الإستبداد و لسيما الفقراء منهم كلهم مساكين لا حراك فيهم يعيشون منحطين في الإدراك منحطين في الإحساس منحطين في الأخلاق[4].

---

[1] سالم المعوش، المصدر السابق، ص 50.

[2] ينظر : هشام شرابي، المثقفون العرب و الغرب، دار النهار للنشر، ط2، بيروت – لبنان 1998، ص 136.

[3] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 42.

[4] هشام شرابي، المصدر السابق، ص 108.

وهكذا وما بين ليلة وضحاها، أقيل الحاكم الأرمني العجوز رغم إخلاصه للأسرة الحاكمة وألغي الوضع الذي كان يتمتع به الجبل فشعر سكان الأرمن الذين هاجروا هربا من السلطة العثمانية أنهم قد وقعوا في الفخ **!**[1].

لقد شكلت الحرب العالمية الأولى نقطة تحول مركزية في مسار العلاقات بين الشرق والغرب تاريخيا و بداية سوء الفهم الحاصل بينهما إلى اليوم والذي كرسته الحروب التي دامت لسنوات عديدة بين العالمين الشرقي والغربي فجعلت كل طرف يبدوا في صورة "العدو" الذي ينبغي القضاء عليه بالنسبة للطرف الآخر، وقد عبر " **أمين معلوف** " عن هذه العلاقات التي بدأت تتجه نحو الصدام من خلال التغير الذي طرأ على شخصيات الرواية، فبعد الحرب وقع ما لم يكن في الحسبان << فما أن تفككت الإمبراطورية في حرب **1914 – 1918** حتى إختلفت معها الفكرة العثمانية كليا >> [2].

لقد << عاد " **نوبار** " للحلم بالهجرة إلى أمريكا لمن إبنته صارت زوجته و أمّا و السفر بدونها و بدون عائلتها الصغيرة لم يكن واردا أبدا، أما صديقه (زوج إبنته)، لم يكن يرغب بسماع هذ الكلام أبدا، و لربح الوقت قال أنه لا يستطيع السفر معه كون زوجته حامل، وهو ينتظر نفاسها و لأن أمه المريضة (عقليا) لا يسمح لها بدخول الولايات المتحدة، لكن السبب الحقيقي، أنه مادام موجودا على أرض الشرق يبقى أميرا و حفيد سلطان، وسليل كبارالفاتحين دون حاجته للتفاخر بذلك أما في أمريكا فلن يكون سوى إنسانا عاديا وهذا ما لا يستطيع تحمله >>[3]، << إن المرء لا يدرك أهمية هويته، إلا في لحظة مأزومة، يواجه فيها المختلف عندئذ يرتد إلى مكوناته الأصلية، التي تمنحه الإحساس بوجوده، أي بتميزه وإختلافه عن الآخر، فيحس بضرورة الحفاظ على هذه المكونات مهما كانت التحديات **!** إن كلما إتحدت

[1] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 45.
[2] هشام شرابي، المرجع نفسه، ص 113.
[3] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 45.

المواجهة مع الغير. زاد المرء تمسكا بمكونات هويته و خصوصيته، حتى تكاد تصبح" **أناة** " وهذه المكونات شيئا واحدا ! [1].

لقد وجد العربي في بلاد الشرق نفسه مضطرا للتعايش مع التركي بسبب ظروف الحرب مع الآخر الغربي، في أرض واحدة في جو إمتاز بعدم الاستقرار في (لبنان) تحديدا وكل بلاد الشرق التي إحتضنت العديد من المتضررين من الحرب ممن هاجروا إلى بلاد الشرق فرارا من بطش الآخر الغربي، فإضطر العربي لقبول " التركي " الذي كان يخضع له في فترة من التاريخ بسطت فيها الدولة العثمانية نفوذها على العالم العربي << ما العمل ؟ نحن لم نختر شيئا، التاريخ إختار لنا، لا أريد أن أبدوا ظالما أو جاحدا، فإذا كان صحيحا أن الناس في بيروت كانوا التكلم باللغة الفرنسية و نسيان التركية إلا أنهم لم يدعونا نشعر و لو لمرة واحدة أننا غير مرغوب بنا[2].

لم يكن الشرق إذا في يوم من الأيام معزولا عن بقية أجزاء العالم خصوصا الغرب فالتاريخ يقودنا إلى الكثير من مظاهر التعامل بينهما منذ أن شعر الإنسان بضرورة الإتصال بغيره من الشعوب وما كان يحصل في عالم الشرق كان يجد صداه في عالم الغرب والعكس >>[3].

لقد كان الشرق بمثابة المأوى الذي يلجا إليه، المتضررون من الحرب فقد جمع العرب والأتراك في بلد واحد، فأصبحوا يتبادلون العادات و التقاليد، كما تعلموا التكلم باللغة التركية وتعلم الأتراك اللغة العربية و في عام **1915** ولد أول مولود في **لبنان** من أم ارمني وأب تركي عثماني كبر الطفل ليصبح ثائرا ضد ما تحاط به من السلالة و المستوى الاجتماعي من تشريعات، إذ كان يستاءا أحيانا كثيرا من عائلته العثمانية لأنه كان يلومها على إنهيارها <<

---

[1] ماجدة حمود، إشكالية الأنا و الآخر، المرجع السابق، ص 13.

[2] سلالم الشرق ، المصدر السابق ، ص 54 .

[3] سالم المعوش ، المرجع السابق ، ص 01 .

وكان يتسأل عن ذاك الزمان حيث كان الناس من مختلف الأجناس يعيشون جنبا على جنب في مدن الشرق البحرية و يخلطون لغاتهم بلغات الشرق >>[1].

بعد المولود الأول" **عفت** " ولد " **عصيان** " بطل الرواية ثم" **سالم** "الأخ الأصغر حيث واصل الراوي سرد رحلة **عصيان** بطل الرواية ...السليل العثماني الذي عاش أميرا تحت سيطرة أبيه مدة من الزمن، الذي رسم له تصورا مسبقا بأن يكون ثوريا بينما كانت رغبته هو دراسة الطب، لقد كان **لعصيان** نصيب من إسمه فهو يعني " **اللاخضوع** " و"**التمرد**" و **العصيان** " [2] مارس البطل العصيان مرتين، مرة كان قراره نقطة تحول في حياته الأولى، حينما (خرج من جلبات أبيه) ليثبت ذاته بسفره إلى باريس، أما الثانية بإختياره المشاركة في الثورة بملئ إرادته، و قد صادف خلال الثورة فتاة أحبها .

لقد إستند" **أمين معلوف** " إلى التاريخ ليعود إلى أصل جذور الصراع القائم اليوم بين الشرق و الغرب، ففي ذلك الوقت الذي شكل الإطار الزماني للرواية << وفي الشرق إتخذت **روسيا** موقع الهجوم و إستعادت القوقاز ثم تقدمت بإتجاه القرم [3]، لقد أسفر الصراع في الحرب العالمية الأولى إلى عدة إنقسامات << حيث إنقسم الغرب بدوره إلى شرق وغرب فالشرق العربي يختلف عن الشرق الأوروبي وبالتالي فإن تعامل الأول مع الغرب سيبقى دائما في إطار التبادل الحضاري من جهة و في إطار عدوانية بعض الغرب على الشرق منذ القديم>>[4].

يسرد لنا الكاتب مشاركة عصيان في المقاومة (الفرنسية ضد النازية) وإنتصاره في المعركة و تحقيقه إسما بارزا فيها بإعتباره بطلا وكذا اللقاءات الصحافية التي عقبت النصر.

وصلنا إلى اللحظة التي ترك فيها " **عصيان** " فرنسا عائدا إلى وطنه أين كان أهله ينتظرونه في بيروت<< لم أفصح لأي إنسان عن إسم السفينة التي سأعود على متنها ،لكن الله

---

[1] سلالم الشرق ، المصدر السابق ، ص 46 .

[2] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 53.

[3] المصدر نفسه، ص 98.

[4] سالم المعوش ، المرجع السابق ، ص 70 .

وحده يعلم، كيف علم أبي و علمت بالتالي المدينة كلها، كما كانت، قد إنتشرت إشاعات كثيرة تتعلق بعملي في المقاومة، حتى إسمي الحركي، **باكو** ، كانوا يتهامسون به <<[1].

لقد كان والده فخورا جدا به لأنه حقق له ما كان يحلم به، ثم عاد ليجد الشرق في أوضاع جيدة << أصبح بإمكان الإنسان العربي أن يختار في ظل سيادته وبكامل قواه الأساليب التي تساعده على العيش بحرية وبكرامة مستخدما الوسائل الحديثة والأفكار المختلفة في شؤون الحياة كافة ... في السياسة والتشريع القانوني <<[2].

وصف لنا السارد لحظة عودة عصيان إلى بيروت وما لقيه من ترحيب << الوصول إلى المرفأ، الحشد المجمع على الرصيف، الفتاة ذات الشعر الأشعث و هي تقترب مني لتصنع إكليلا من الزهور حول عنقي، و هذا أبي الذي يتقدم واضعا على رأسه طربوشا نزع والدي الطربوش و أخذني بين ذراعيه و شدني بقوة، فعاد التصفيق من جديد <<[3].

لقد كانت الأوضاع في لبنان هادئة مستقرة، فقد وجد أن أخته " **عفت** "، قد تزوجت منذ بداية الحرب و لم يستطيعوا إخباره بذلك لأنه كان في فرنسا، من رجل إسمه <<"محمود " إبن عائلة مرموقة من حيفا، كان يعمل هنا من مصرف إنجليزي لكنهم نقلوه إلى القاهرة، كان والده يعمل في مصرف عثماني في إسطنبول << [4]، و بعدها سأل " عصيان " أباه عن أخيه قال : << أخوك ...سالم ...ملعون اليوم الذي ولد فيه <<

في سنوات الصراع تلك إنتشر القحط والتقنين في البلاد كما في أرجاء العالم وكذلك التهريب و كل أنواع التعامل الغير المشروع، فكان بعضهم يمارسها من أجل البقاء و بعضهم

---

[1] سلالم الشرق ، المصدر السابق ، ص 110 .

[2] سالم المعوش ، المرجع السابق ، ص 68 .

[3] سلالم الشرق ، المصدر السابق ، ص 110 .

[4] المرجع نفسه، ص 112.

الآخر من أجل الثروة << مارس أخي تلك التجارة بدوره، و لكن ليس من أجل البقاء ولا من أجل الثروة << [1].

وبصورة عامة يمكننا القول : إن الطبقات الثرية كانت هي المؤهلة أكثر للمشاركة في الحياة السياسية و بدت المواقف السياسية هنا ميالة نحو أن تحكم بمصالح معينة << وكان أن العائلات الإقطاعية الكبيرة في لبنان، والتجار الكبار في " **بيروت** " أو " **حلب**" ونخبة الطبقة المتوسطة المتعلمة في المدن الساحلية قد تأثروا في مواقفهم السياسية بالمصالح السياسية والمثالية الناجمة عن أوضاعهم المعينة، و كلما تغيرت هذه الظروف تغيرت مواقفهم وإتجاهاتهم <<[2]، و من الشخصيات الثرية ذات الأصول العثمانية شخصية " سالم " الذي عاش أميرا غير محتاج للثورة، إلا أنه قام ببعض الأعمال غير المشروعة نتيجة للضغط الذي مارسه عليه أبوه عندما أراد أن يقرر مصير هو يرسم لإبنه مستقبله، في حين أن " سالم " كان يريد أن يسطر حياته لنفسه و يعيشها كما رسمها في مخيلته .

قدمت لنا شخصية " سالم " صورة عن الشرقي الذي يرفض الخضوع لسلطة الأب في مجتمع شرقي " أبوي " فيقرر أن يتمرد على هذه السلطة، حتى و إن تطلب ذلك المغامرة بفعل أمور غير مشروعة، إنتقاما من والده <<و بعدها و في يوم من الأيام تمركز جنود من الجيش الفرنسي حول البيت من كل جهاته، طالبين من السكان عبر مكبر الصوت عدم المقاومة والخروج مرفوعي الأيدي <<[3].

لقد كان هجوما نظاميا، من الآخر الفرنسي على بيت " سالم " و بدا كأنهم يريدون سحق موقع العدو<< بسبب جريمة قتل أحد موظفي الجمارك، وجرح إثنين من المهربين وإعتقالهما و خلال التحقيق توصلت السلطات أن إسم " **سالم** " موجود في الجريمة لقد كان من

---

[1] سلالم الشرق ، المصدر السابق ، ص 114 – 115.

[2] هشام شرابي، المثقفون العربي و الغرب، ص 120.

[3] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 115.

بين الذين ينتظرون البضائع على الشاطئ و هم الذين أطلقوا النار على موظفي الجمارك قبل هروبهم >> [1].

تسرد لنا الرواية أيضا الأحداث الشخصية المؤلمة التي عاشها البطل " **عصيان**" بعد عودته من فرنسا، بأيام قليلة فجع بوفاة جدته " **عفت** " التي بلغت السابعة و الثمانين من العمر << و لو توفيت السنة الفائتة لكنت دفنتها لوحدي >>[2].

لقد كان لحادث وفاة جدته أثر كبير في نفسه، سبب له الكثير من الحزن و الألم <<بعض الذين تضطرب لديهم الذات، يفقدون الإحساس بجسدهم، فيشعرون كأن أجسادهم منفصلة عن ذواتهم و كأنهم يراقبون ما يجري من حولهم فلا يتحسسون إحساسان لعالم بهم يحيط، و هم فيه و معه يتفاعلون >>[3]، لم تقا حدة الحزن الذي عاشه " **عصيان** " إلا بعد لقاء صديقته اليهودية (**كلارا**) التي أجبرته الظروف على الإنفصال عنها، عندما غادر فرنسا عائدا إلى لبنان << رغبت بضمها بين ذراعي و شدها بقوة إلى صدري، لكن لم يكن هناك ما يسمح بذلك لا علاقاتنا السابقة في تلك الليلة الوحيدة التي كنا فيها جالسين على كرسيينا الخاصين قبل رحيل كل واحد منا في طريقه و لا الظروف الراهنة، حالة العزاء >>[4].

إن ظهور شخصية " **كلارا** " اليهودية ضمن سياق السرد ، يضع القارئ أما إشكالية جديدة هي علاقة الشرقي المسلم بالغربي اليهودي، هذه العلاقة القائمة على مر التاريخ على الصراع و الصدام، خاصة إذا تعلق الأمر بالقضية الفلسطينية التي لم تمنع البطل من إتخاذ قرار الزواج باليهودية زواجا مدنيا في فرنسا .

---

[1] المصدر نفسه ، ص 116.

[2] المصدر نفسه، ص 120.

[3] ديانا هيلز، روبت هيلز " العناية بالعقل و النفس " تر : عبد العليني الجسماني، الدار العربية للعلوم، ط1 بيروت – لبنان، 1999، ص 151.

[4] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 122 .

كانت " **كلارا** " في **بيروت** لفترة قصيرة، فقد رست سفينتها مساء اليوم الفائت في مرفأ بيروت، و ستتابع سيرها هذا المساء إلى حيفا عبر الطريق البري، لم تكن واثقة من أنها تريد البقاء في فلسطين فقد جاءت مرافقة لخالها العجوز.

وما يمكن ملاحظته مما سبق أن رواية " **سلالم الشرق** " التي فيها التاريخي بالمتخيل قد تناولت عدة قضايا، تاريخية، إجتماعية، سياسية ... دون الدخول في تفاصيلها مثل التحدث عن القضية الفلسطينية، فلم يظهر الكاتب موقف عصيان الواضح والمقبول من القضية رغم أصوله المختلفة (التركية، الأرمنية)، فقد كان كل ما يهم البطل هو إفتراقه عن زوجته اليهودية، و ليس إحتلال اليهود للمسجد الأقصى أو لفلسطين ككل .

<< لن أستطيع حتى الكتابة لها، فهي لا تعرف بعد أين ستقطن في فلسطين و لا لكم من وقت ستبقى >>، و بعد وصولها إلى فلسطين بعثت له رسالة << أنها إستأجرت مع خالها شقة في حي من أحياء **حيفا** تحتدم فيه المعارك بين اليهود و العرب إذ لا يمر يوم دون معارك أو إعتداءات، لم تكن " **كلارا** " تتوقع هذا القدرمن العنف >>[1].

نقل لنا الكاتب شخصية " **كلارا** " اليهودية في صورة المرأة اليهودية المتعاطفة مع العرب فهو الطرح الذي قلما نجده في خطاب روائي عربي بعدها واصلت " **كلارا** " مع "**عصيان** " مخبرة إياه بأنها إنظمت إلى مجموعة من المناضلين تطلق على نفسها إسم لجنة **(PAJUW)** و هي الأحرف الأولى لإتحاد العمال العربي الفلسطيني اليهودي، و عن مشاريعها و أهدافها النبيلة، << تبين هنا أن العلاقات بين الشرق والغرب لم تنقطع منذ القديم فقد كانت بمثابة الدم في عروق الإنسان في أوصال الإنسانية كلها >>[2].

يعود بنا الراوي إلى سرد أحداث رجوع " **كلارا** " إلى لبنان و حضورها محاضرة تحدث فيها عصيان عن حربه بكل حماس الزعيم الثوري << لم أعد أستطيع البقاء في مكاني، و كان

[1] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 129.

[2] سالم المعوش، المرجع السابق، ص 70.

ذلك سعادة للعاشق كنته و نكبة للمحاضرة <<[1]، لقد شعر " **عصيان** " بإرتباك شديد سببه سعادته لحضور صديقته اليهودية محاضرته، فلم يستطع التركي في المحاضرة من فرط سعادته بسبب إنتهاء المحاضرة ليذهب و يعرفها بوالده << بعد نصف ساعة، في جلسنا في قاعة إستقبال منزلنا قدمتها أولا إلى والدي : جاءت بزيارة عمل لصالح صحيفة لجنتها التي ستصدر العدد الأول منها، و قد فكرت بنشر بعض روايات المناضلين العرب و اليهود الذين قاتلوا ضد النازية في مختلف البلدان المحتلة كان الهدف إقناع الطرفين بوجوب وقوفهما في جهة واحدة و نضالهما سوية من اجل مستقبلهم المشترك، من جهة النظر تلك، يمكن لشهادتي ان تكون ذات فائدة <<[2].

لقد كان من الصعب أن تقوم أي علاقة بين مسلم و يهودي في ظل ظروف الحرب و الصراع الدائر بين عالم الشرق و الغرب، و ما نتج عنه من علاقات إتسمت بالعداء والنبذ و الرفض من الطرفين، و هنا إستند الكاتب إلى (عاطفة الحب)، التي جعلت اللقاء المستحيل ممكنا بين " **عصيان** " المسلم و " **كلارا** " اليهودية أي << مسألة العلاقة بين الشرق العربي الإسلامي و الغرب << [3]، و هو ما صرح به عصيان معلنا حبه لكلارا بقوله :

<< إني مغرم بك، أنت إمرأة حياتي و لن يكون هناك امرأة أخرى ، أحبك بكل كياني ، أحبك في غيابك وحضورك <<

قالت : << أجل << [4].

لقد كان (الزواج المدني) هو الحل الذي توصل إليه " عصيان " و " كلارا " بعيدا عن ضغوطات المجتمع و الدين << أي زواج سيكون ؟ لم يكن في بيروت زواج مدني و لا نريد أن

[1] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 133.

[2] سلالم الشرق، المصدر السابق ، ص 133.

[3] محمد نور الدين أفاية، الغرب في المتخيل العربي، المرجع السابق، ص 11.

[4] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 135.

نتزوج زواجا دينيا ، كما لا نريد أن نصل إلى سعادة أن نكون سوية عبر كذبة و كلانا لا نكن للأديان المحيطة بنا تقديرا كبيرا، و لم التظاهر بعكس ذلك ؟ >>[1].

في باريس، تم كل شيء، وفقا لما خطط له " **عصيان** " و " **كلارا** " و بشكل أفضل أيضا ، فنظرا لإختلاف الديانات و لتفكير كل واحد منهما في إكتساب جنسية تساعده على التنقل للبلاد الأخرى، سافرا إلى باريس ليتم العقد هناك، فقد حلل الإسلام الزواج بالأجانب .

قرر البطل و زوجته اليهودية البقاء في المشرق، متنقلين بين " **حيفا** " و"**بيروت**" في شقة الخال" ستيقار "،أو المنزل العائلي في بيروت وذلك سببه ظروف الحرب في فلسطين << الأوضاع في فلسطين معقدة كان الناس يتحدثون عن تقسيم فلسطين على دولتين إحداهما لليهود والثانية للعرب ، وكانت الأحقاد كبيرة جدا عام **1947** لدرجة أن أحدا لا يستطيع التعبير عن آرائه الميالة للتسامح بصوت مرتفع >>[2].

لقد رصد لنا " **أمين معلوف** " ضمن سرد تاريخي ما وقع من أحداث أليمة في فلسطين سنة واحدة قبل نكبة **1948** و ما رافق ذلك من إتصالات بين البلدان العربية من أجل التصدي للعدو الصهيوني << و قد جرت في هذه السنة بالذات تطورات مهمة في مجال الإتصال القومي مع الأقطار العربية المجاورة و لا سيما بإتجاه العراق و فلسطين ... >>[3]، لقد عمت الإعتداءات و الإشتباكات و صيحات الحرب كل أرجاء فلسطين، حتى الطرق كانت تزداد خطورة في كل مرة سبب حملات التفتيش التي كان ينظمها الجنود الصهاينة، هي صورة لشرق فقد سحره على يد الآخر الصهيوني شرق فقد أرضه، و ضاع شعبه عندما ضاع الحق وعم الظلم، << من الحركة الصهيونية التي إستولت على أرض فلسطين و طردت القسم الأكبر من شعبها، و

[1] المصدر نفسه، ص 142.

[2] سلالم الشرق، المصدر السابق ، ص 156.

[3] سالم المعوش، المرجع السابق، ص 298.

ما زالت تمعن في توسعها مبررة أعمالها بمواقف إيديولوجية تعطيها الحق في الإمعان في الغي والظلم على حساب شعوب آمنة >>[1].

بعدها عاد " **عصيان** " إلى بيروت لما سمع أن والده مريض وعلى وشك الموت فترك زوجته في فلسطين في شهر حملها السابع و أتى إلى بيروت تاركا فلسطين تستعد لإستقبال الحرب الإسرائيلية، << كان إندلاع الحرب العالمية الإسرائيلية في منتصف أيار من عام **1948** تسارعت الأحداث بعد نهاية فترة الإنتداب البريطاني على فلسطين، و إجتمع مجلس الشعب اليهودي في متحف **تل أبيب** معلنا ولادة الدولة الإسرائيلية، ثم دخلت البلدان العربية الحرب بعد ساعات من ذلك >>[2].

لقد تغيرت ملامح فلسطين و الشرق بكله بعد نكسة فلسطين عام 1948 << و في عام **1949** كونت روسيا في القدس إرسالية دينية بين الأركوسيين، و أنشأت إنجلترا في القدس عام **1941** أسقفية إنجليزية بروسية و شجعت خطط الإستعمار اليهودي و بدأت تدعم مختلف أنواع المشاريع الصهيونية ... لقد إنفتح الشرق على مصراعيه للغرب، وغدت الإمبراطورية العثمانية لقمة سائغة لكل طامع و بخاصة للغرب المتعطش لإستعمار أراض جديدة والإستيلاء على خيراتها ... >>[3] .

و لعل اللافت للنظر أن البطل " **عصيان** " لم يكن متحمسا للقضية و معاناة المسلمين هناك بقدر ما كان متحمسا للمقاومة الفرنسية ضد النازية، و هو يجعلنا نعتقد أن "**عصيان** " بموقفه السلبي من قضية كل المسلمين (الصراع الصهيوني / الإسلامي) في الأرض المحتلة يجسد صورة الشرقي المتسلب فكريا و عقائديا، فبمكوثه فترة طويلة في فرنسا جعله يبتعد عن جذوره الدينية الإسلامية، فلم يكترث للدين الذي ينتمي إليه، و كذلك زواجه من امرأة يهودية

[1] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 87.

[2] سلالم الشرق، المصدر السابق ، ص 169.

[3] سالم المعوش، المرجع السابق، ص 86.

جعله يفضل موقف الحياد السلبي، إنه صورة لشرقي تشغله نوازعه الذاتية بعيدا عن هموم الجماعة و الشأن العام، فكل ما كان يهمه وضع زوجته التي كانت ستلد بعد فترة وجيزة، و هو بذلك لا يدلي بالولاء لقوميته العربية و لا لدينه الإسلامي، إنه " **عصيان** " المتمرد على كل شيئ مثلما يوحي بذلك إسمه، تتوالى الأحداث ليظهر لنا مع توالي الحكي شخصية " **عصيان** " بعد أن أنهكها المرض و الحزن سبب وفاة والده مرض " **عصيان** " ولزم الفراش شهرا كاملا سبب حزنه على والده من جهة و الاضطرار للانفصال عن زوجته " **كلارا** " من جهة أخرى،وكذا سبب الانفجار الذي حدث على طريق" **حيفا** "، أحداث توالت و تلاحقت اثرت على نفسية " **عصيان** " الذي أصبح مضطربا، قلقا، كئيبا غير متوازن.

ولعل اهم ما كان يرهق البطل هو عجزه عن السفر سبب المرض للقاء زوجته "**كلارا** " التي راسلته لتطمئنه على حالها و على حال إبنتها التي أسمتها " **ناديا** " و قالت : <<لا تقلق أبدا على حال ناديا أو بشأني، فنحن بصحة جيدة و الأحوال هادئة عندنا الآن .... و أنا متأكدة بأننا سنجد حلا لأننا متحابان، أريد الآن أن تعتني بنفسك و عندما تشفى سنتحدث مجددا عن هذا الامر >>[1].

تتدهور الأوضاع الصحية " **لعصيان** " و ينتشر خبر تدهور وضعه العقلي ووضعه في مصح عقلي << هكذا وجدت نفسي في التاسعة و العشرين من عمري في مصح يدعى (**مسكن الطريق الجديد**) مصح من مستوى راق خاص بالمجانين الأغنياء >>[2].

تشاء الأقدار أن يأخذه أخوه إلى المصح في الوقت الذي كان بحاجة ماسة إلى المحبة و المساعدة للخروج من مرضه و عزلته فهناك يسقى المرضى بالمهدئات التي تبخر إرادتهم وأفكارهم .

---

[1] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 177.

[2] المصدر نفسه، ص 180.

يواصل السارد وصف معاناة " **عصيان** " مع المرض الذي دام طويلا على عكس ما كان يامل، الأمر الذي جعله ينفصل عن محيطه و أسرته، و خاصة زوجته التي أحبها مدة عشرين عاما تقريبا، هي عمر إبنته " **ناديا** " التي شرعت في البحث عن والدها عقب دخولها الجامعة ليعوضها حرمان عاطفة الأب التي إفتقدتها سنوات طويلة.

1-نظرة الشرقي للآخر الغربي :

إنّ " **الأنا** " عندما توضع في موضع لقاء أو مواجهة مع " **الآخر** " فإن كليهما سيشكل نظرة ما عن " **الآخر** " قد تكون نظرة حب، أو إزدراء أو كراهية ... و مهما تكن طبيعة هذه النظرة، فهي تحولها إلى موضوع قابل للتأمل، فلولا أن " **الآخر** " يرى " **الأنا** " وينظر إليها لظل شيئا بين الأشياء، لا يمتاز عنها في شيئ، و لكنه بنظرته إليها يبعدها عن شيئيتها ويدخلها عالمه كموضوع للتأمل [1].

و النظرة وفق ما يراه **سارتر** لا << تشير إلى العيون التي تنظر، بل العكس من ذلك تخفي نظرة العيون الناظرة، و في اللحظة التي تحاول فيها " **الأنا** " أن تفهم معناها لا ترى العيون المسددة إليها، و كأن النظر قناع مسدل فوقها، و لا نستطيع أن تحس بالعالم حولها ونظرة " **الآخر** " مصوبة نحوها في الوقت نفسه، لأن الإحساس بنظرة الآخر إحالة إلى الذات حين تشعر أنها مرئية ولا يجتمع الإحساس بالذات و الإحساس بالعالم في زمان واحد >>.[2]

إنّ النظرة التي تأخذها " **الأنا** " عن " **الآخر** "، بمرور الوقت ستساهم في تشكيل صورة عنه << إنني أنظر إلى الآخر، و صورة الآخر تنقل أيضا نوعا من الصورة عن هذه

[1] ينظر: فؤاد كامل، الغير في فلسفة سارتر، دار المعارف (دط)، مصر (دت)، ص 34.

[2] المرجع نفسه، ص 36.

(**الأنا**) التي تنظر، و تتكلم و تكتب >>[1]، فالأمر لا يتعلق بنظرة العيون فقط هو مرتبط بتصور سابق راسخ في مخيلتنا عن **الآخر** .

وإذاً بحثنا في الطريقة التي كان ينظر بها " **الأنا الشرقي** " إلى " **الآخر الغربي** " في الرواية، نجد أنه كان ينظر إلى **الآخر** بنظرة إعجاب فقد كانت **فرنسا** تمثل حلم الشاب الشرقي " عصيان " الذي إتخذ حجة دراسة الطب سببا للهرب من مشرقه المتخلف و من ضغوطات والده << الطب هو الطريق المثالي لمن يريد تغيير الناس ، فظهرت أمامه مباشرة صورة العالم الحكيم المخترع و المنقذ (فرنسا) وسيكون الناس جاهزين لإعطاء الثقة التامة له في كل الأمور لقد أزفت الساعة ، سيستطيع أن يتحول بشكل طبيعي ليصبح زعيما للرجال >>[2]

فقد << دعا إلى التمثل بحياة البارسيين القائمة على أساس العلم و آخر مبتكراته والعلوم في مدينة باريس تتقدم كل يوم فهي دائمة في الزيادة، فإنها لا تمضي سنة إلا ويكتشفون شيئا جديدا >>[3].

كان البطل " عصيان " يرى أن " فرنسا " هي البلد الذي يستطيع فيها أن يحقق أحلامه << في فرنسا، كنت أستطيع أخيرا تحقيق أحلامي الخاصة، تناول الطعام على طاولتي الخاصة، وأنا لا أقول هذا بالمعنى المجازي فقط >>[4]، لأن باريس بالنسبة إليه هي بلد المعجزات حقا، لأنه تأقلم مع ذلك المحيط الذي كان يعيش فيه بعيدا عن عائلته و أرضه وهويته، فالسعادة تكمن في نظره بالإبتعاد عن الواقع الذي يعيشه بعيدا عن سلطة الأب << السعادة في أن لا يجلس الإنسان على طاولة العائلة لا مدعوون يحاولون الظهور من

---

[1] دانييل، هنري باجو، الأدب العام و المقارن، ص 01 .

[2] سلالم الشرق، المرجع السابق، ص 59.

[3] سالم المعوش، ص 186.

[4] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 64.

المبحث الثاني :

صورة اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب .

1- نظرة الشرقي للآخر الغربي .

2- نظرة الغربي للأنا الشرقي .

خلال ثرثرتهم أو معارفهم، لا حضور لشبح الأب، لا نظرة تغوص في نظرتي، في صحني وفي أفكاري <<[1].

أول يوم لبطل الرواية " **عصيان** " على تراب " فرنسا " في مرسيليا، لقاءه بالفتيات الفرنسيات الجميلات شعور بالخفة >> مرت ثلاث فتيات قريبا جدا مني أمام المصطبة كان يرتدين فساتين واسعة و قبعات غريبة من القش كأنهن قد هربن من عيد ما، أو من لوحة كن يضحكن لم **تنظر** إلي أية واحدة منهن، إلا انه كان لدي إنطباع بأنهن كن يتبخترن من أجلي <<[2].

نلاحظ أن البطل كان ينظر إلى الآخر نظرة إعجاب وإفتتان توحي كثيرا كما عبر البطل الشرقي " عصيان " عن إرتياحه في فرنسا، لما حضي به من إحترام و إهتمام من قبل الآخر بفضل دراسته، >> في المقابل كان لدي، في مونبلييه، مجالي الذي يصغي إلي فيه رفاقي والذي حصلت فيه على بعض الإحترام، عندما كنا نتحدث عن دراستنا التي كانت المحور الرئيسي لإهتماماتنا، كان رأيي راجحا، يحترمه الآخرون، حتى و لو كانوا أكبر مني سنا ... لم يكن هناك أي فرق بين غريب وإبن البلد ... << [3]، فمن الصعب أن يحصل إنسان غريب عن بلده على الإحترام من قبل الآخر >> أن يكون الإنسان محترما فهذا يعني أن تكون لديه أفكار قابلة لأن يعترف بها لكن أن يكون المرء صادقا فهذا يعني أن تكون لديه جميع الأفكار ... <<[4].

---

[1] المصدر نفسه، ص 64.

[2] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 65.

[3] المصدر نفسه، ص 67.

[4] حسام الخطيب، مجلة الموقف العربي، أضواء على موقف فرويد من الفن :ع65، السنة 5، آب 1965، ص 26.

كما نلمس في هذه الرواية الهوية و إنتماء الذات الشرقية، >> لكل منا نحن البشر إحساس فريد بهوية ذاته و هو إحساس نابع من وعينا بالحاضر الذي نعيشه، فمن ماضي الذكريات السابقة فالهوية الذاتية هذه هي جوهرة كينونتنا السيكولوجية <<[1].

يجسد لنا " عصيان " **بعد الإنتماء** من خلال قوله:>> لدي أصولي و تاريخي و لغاتي و أسراري و عدد لا يحصى من مواضيع الفخر و لربما أيضا سحري الخاص ... لا، لم يكن يزعجني كوني غريبا أبدا، بل كنت بالأحرى سعيدا، لكوني لست في منزلي، كنت أحيانا أحن لبلادي هذا أكيد، لكن ليس لمنزل العائلة، لم أكن في عجلة للعودة إليه <<[2] .

ولأن " الآخر " و إدراك أبعاده المختلفة لا يأتي إلا من خلال معرفة بالذات والإحتكاك بالآخر، ففهم الذات يؤدي إلى فهم الآخر، كان من الضروري على " **الأنا** " الطموحة أن تكتشف ذاتها و بذلك نستطيع تحديد و ضبط علاقتها مع "**الآخر**" بتقاسمها و مشاركتها واقعهم >> أعترف بأنني كنت أصغي إليهم بسرور، و بأنني كنت سعيدا بمشاركتهم إيمانهم، مثلهم كنت واثقا بالجيش ومثلهم بكيت في حزيران 1940 عند الإجتياح الألماني كنت منهكا فجأة ما عدت غريبا على الإطلاق ، كان ثمة جنازة، و كنت فردا من عائلة المتوفي، كنت أبكي وأحاول مواساة الآخرين بينما الآخرون يحاولون مؤزرتي[3].

لقد جسدت لنا هذه الرواية صورة الصداقة و اللقاء و التعاطف بين الشرق و الغرب حيث كان البطل >>فخورا بمشاركة الفرنسيين بعض أحداثهم الشخصية الحزينة و السعيدة نعم أنا فخور و لا أتردد في قول ذلك أبدا !، عندما كنت ألتقي من وقت لآخر، بعد الحرب بمن يهتم بهذا الجانب السري من المقاومة تراني أمضي الساعات شارحا و بالتفصيل كل ما كن

---

[1] ديانا هيل، روبرت هيلز " العناية بالعقل و النفس "، تر : الدار العربية للعلوم، عبد العلي الجسماني، ط1 لبنان، 1999، ص 151.

[2] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 68.

[3] المصدر نفسه، ص 69.

نقوم به<<[1]، من أعمال بطولية بمشاركتهم في المقاومة و المغامرات الجميلة و الحزينة التي عاشوها، لقد كان ينظر إليهم عندما يسألونه عن بطولته، و عما قام به من أعمال و عن دوره في هذه المقاومة، نظرة البطل الشجاع أمام الجماهير المحبة والمشجعة له و لأعماله التي ستبقى خالدة يذكرها التاريخ.

نقلت لن الرواية من خلال الأحداث و الموقف التي جمعت الأنا الشرقي بالآخر الغربي صورا عن مظاهر الإحتكاك الحضاري بين الشرق و الغرب، >> بعد أن تركت الحانة، ذهبت إلى المرأة التي كنت أسكن عندها، السيدة بيروا التي ضمتني بدورها بين ذراعيها، و أعلمتني أن قصصا تنتشر في المدينة تتعلق بقضيتي، و هو أمر تأكدت منه فيما بعد، يوم عودتي إلى كلية الطب، لم أعرف إن كان ذلك سبب إختفائي المفاجئ أو سبب أصلي أو بعض الشائعات أو الأحداث، و لمن بدا لي أن كل الناس أن المدعوا كتابدار قد أصبح من أبطال المقاومة <<[2]،لقد إكتسب عصيان لقب يعتز به الذي كان حلمه أن يصبح إبنه زعيماً ثورياً، فالبطولة مصدرها أن يخدم الإنسان شعبه و قضايا وطنه الذي كان يسعى إلى تحقيق السلام بعيدا عن النزاعات و الأطماع، >> بهذا المعنى تصبح الثقافة الإنسانية كالهواء يحتاجه الإنسان ليمده بالحياة <<[3]، إهتم عصيان كثيرا بنظرة الآخر الغربي إليه خاصة أنه مهاجرا عربي وشرقي لذلك كان مهما لديه أن يعرف قيمته و أهميته بالنسبة للآخر.

>> هذا يعني بالنسبة لي أن السلطات لم تكن قد كونت أفكارا خاطئة عن أهميتي أوبالأحرى، عن أهميتي الضئيلة، و لكن بالنسبة لمؤجرتي، و تبعا للنبرة التي إستعملتها في تلميحاتها فقد كان هذا، و بالعكس الدليل الأعظم على المهارة الأسطورية التي ألصقوها

[1] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 100.

[2] سلالم الشرق، المصدر السابق،، ص 102.

[3] سالم المعوش، المصدر السابق، ص 67.

بشخصي : باكو الذي لا يمكن القبض عليه <<[1]، فقد منحته شخصية " باكو " الأسطورية هذه شهرة إسمية و رفعت من شأنه و قيمته.

إن " عصيان " بإعتباره " عاملا سريا " نشطا وناجحا، لقي من " **الآخر** " المسؤول والمسير لهذا العمل، كل الإحترام و التقدير هذا ما عزز وغرس في نفسه حب هذا العمل والإستمرار فيه، رغم الظروف القاسية و الصعبة التي كانوا يواجهونها في هذا العمل >> ما الذي كنت أقوم به في الواقع ؟ لقد كان من الضروري تأمين الإتصال بين القيادة العامة في شبكتنا ومسؤولي المناطق ومختلف مجموعات المقاومة المعزولة، و كذلك إيصال الأوامر والتوجيهات و الطلبات والمعلومات والمستندات والأوراق المزورة ... إذ كنا بحاجة لعدد من الشبان الموثوقين والنشطين والذين يحسنون التصرف، و يبدوا أنني كنت أحمل تلك الصفات، فإبتدع لي برتران ذلك الغطاء المثالي <<[2].

واللافت للنظر في هذه الرواية هو أنها تقدم لنا " **الأنا** " التي تنظر إلى"**الآخر**" نظرة حب و تعلق و إعجاب و نلمس ذلك من خلال علاقة عصيان " **بكلارا** " من خلال عمله معها >> إن كانت الحرب قد جمعتنا، ففي السلم رغبت بالعيش معها، إذ أنني أدين للغربة إلا بضريبة لقائنا بينما أنا أقدس المستقبل، مستقبل سنواتنا المشتركة و المستقبل المباشر أيضا، والخطوات الأولى برفقة من ستحمل إسمي من الآن فصاعدا <<[3].

وقد لمسنا أيضا محاولة و سعي " **الأنا الشرقي** " في جمع و توطيد العلاقة بينه و بين الآخر الغربي من خلال حرص العرب على التواجد في حفل زفاف " عصيان " و " كلارا " >> تواجد في الإحتفال عشرون شخصا تقريبا من العرب و اليهود، و ربما كان اليهود أكثر بقليل من العرب و ألقى نعيم أحد منظمي الإحتفال كلمة قال فيها : إنه يرى في زواجنا حدثا

---

[1] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 103.

[2] سلالم الشرق، المصدر السابق،، ص 90.

[3] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 144.

هاما، و في حبنا تكذيبا للحقد <<[1]، الموجود بين العالمين الشرقي و الغربي منذ أقدم العصور إذ تمنح >> و تغير هذه الدراسة أهمية كبيرة للعلاقات الثقافية و الحضارية و الاجتماعية بين العالمين الشرقي و الغربي <<[2] في معرفة بعضهما .

نلاحظ أيضا نظرة إعجاب " **الآخر** " بالرجل الشرقي بلباقته في التحدث والإحترام والأخلاق العالية التي يمتاز بها، فهذه هي صفات الإنسان الشرقي الذي أعجبت به كلارا اليهودية صاحب المبادئ و القيم السامية، >> إسمح لي أن أمدح نفسي مرة واحدة بشكل عابر، نعم اللباقة الأخلاقية هي "أنا و كلارا"، كلارا التي كانت تسعى لفهم كل شيئ لدى العرب حتى أسوأ عيوبهم وتبدي معارضتها لليهود، دون مجاملة <<[3]، لقد تحققت محاولات " الأنا " في التأثير على الآخر الغربي من خلال تصرفاته المحترمة و الواعية بما تفعل.

وفي موضع آخر نجد " عصيان " يعبر لصديقته عن عجزه و معاناته في الوصول إلى " زوجته كلارا " سبب مرضه >> قررت كتابة رسالة، و من ثم أبعثها على "**جاك**" في فرنسا الذي يستطيع إرسالها دون صعوبة، كانت الفكرة جيدة عندما راودتني وتحمست لها جدا <<[4]، فهو ينظر إلى صديقه الفرنسي نظرة ثقة التي فقدها في أخيه الذي تخلى عنه في أصعب الأوقات.

ومن هنا كان " عصيان " ينظر إلى نفسه نظرة شفقة و حزن و تحصر وتأسف لما آل إليه، فقد تبخرت أحلامه و آماله التي كان يحلم بها، فلم تبق سوى الذكريات الجميلة التي كان يتمنى دوامها >> كان هناك ومن ظننت فيه أن العالم ملكي، فترة النضال ضد النازية وآمال ما

---

1 المصدر نفسه، ص 151.

2 سالم المعوش، المرجع السابق، ص 10.

3 سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 162.

4 المصدر نفسه، ص 174.

بعد الحرب والناس الذين كانوا يأتون إلى محاضرتي، يوم كان الأرذال في السجن ويوم ضممت إلى قلبي البريئ المرأة التي حلمت بها لا شيئ كان يبدوا لي مستحيلا <<[1].

وإذا عدنا إلى الرواية نجدها تقدم لنا مجموعة من المواقف و التعابير التي تأكد نظرة الحب و الإحترام المتبادل بين " الأنا و الآخر " كون " الآخر " لم يبخل عن " الأنا " في أصعب الأوقات المرضية التي مر بها عصيان، و التي أفقدته قوته و هيبته التي كان يتمتع بها << فجأة قام " برتران " بنصف دورة كأنه شعر بالندم ثم عاد إلي و أحاطني بذراعيه وضمني إلى صدره برهة طويلة كأنه يعطيني وقتا للكلام، كانت تلك فرصتي لأقول له ما لم أستطيع التعبير عنه على الطاولة كل ما يغلي في داخلي، في صدري في حلقي و على أطراف شفتي، كل ما رغبت أن يفهمه أخيرا <<[2].

بعد كل ما مر به البطل من معاناة و أوجاع إلا أنه بقي دائما ينظر إلى فرنسا أنها الوطن الذي يجد فيه راحته، و هو المكان الوحيد الذي يستطيع من خلاله أن يجتمع مع من أحبها وهي زوجته و أم إبنته بعد الغياب الذي دام طويلا.

[1] المصدر نفسه ، ص 184.

[2] سلالم الشرق، المصدر نفسه، ص 193.

2-نظرة الغربي للأنا الشرقي :

إن تاريخ الإستشراق هو تاريخ << الأفكار التي حركت عواطف الغرب و هو ليس تاريخ الحلقة اللصقية للتعامل مع الشرق، و فهمه من قبل الغرب، فهذه التفاصيل مجرد أشياء عرضية ثانوية، إن شرق المستشرقين هو نتاج صنعي " artifact " أنشأه الغرب و قام بشرحه والدفاع عنه وتشيئه و البرهنة على الإنشغالات المعاصرة الخاصة به>>[1].

وعليه تتأثر الصورة النمطية التي يحملها << الشخص بالثقافة و بشكل خاص بوسائل الإعلام والمؤلفات الأدبية السائدة في مجتمعه، فصورة العرب السلبية في الغرب يمكن إرجاءها إلى محددات تاريخية و ثقافية و حضارية >>[2].

وبالرجوع إلى نص الرواية نجد أنه يقدم لنا نظرة " للأنا " الشرقي بإحتقار و إزدراء ونلمس ذلك في قول الكاتب << أفرغ الشاب كأسا من البيرة طالبا كأسا أخرى بحركة من إصبعه، ثم إستدار نحوي و راح يتفرسني، لما أنا ؟ لم أجلس في مواجهته، لكن شيئ ما جعله يتكدر>>[3].

نقلت لنا هذه الرواية صورة سلبية للشرقي، و نلتمس ذلك من خلال مقاطع سردية كثيرة مثل : << و بدأ الآخرون ينظرون إلي بإلحاح حتى رفاقي الأكثر قربا، يأتوا يرغبون بمعرفة ما يخفيه صمتي، إذ حتى لا أفقد مكانتي تكلمت لمرة واحدة مستخدما الصوت الأكثر تواضعا وقلت هذا تقريبا << إذ فهمتك جيدا فإن هذا يشبه برجل يدخل الآن إلى هذه الحانة مزودا

[1] ضياء الدين ساردار، الإستشراق، صورة الشرق في الآداب و المعارف الغربية، المرجع السابق، ص 40.

[2] محمود معياري، الذات و الآخر في نظر الشاب الفلسطيني، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 25، ع1، 1997 ص 107.

[3] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 70.

بهرواة ليصرعك، أراه يقترب فأتناول هذه الزجاجة و أحطم جمجمت،، يرى الرجل بأنه لا يستطيع فعل شيئ هنا فيهز كتفه و يرحل >>[1].

كما ينقل لنا نص الرواية ذاك الصراع الذي يتجلى في جدل القيم الاجتماعية و الثقافية والتاريخية والحضارية، والدينية حيث يحاول " الآخر " بسط بدائل أخرى لما هو متصل في الذات الجمعية، ومن هنا ينشأ رد فعل عكسي للذات نحاول من خلاله مجابهة هذا الآخر فالصراع شكل طبيعي من أشكال العلاقات التي تحكم الذات في تعاطيها مع " الآخر " وإحتكاكها به ووعيها به وبذاتها و بهويتها.

تُقَدِّمُ هذه الصورة مساحة الإدراك الأوروبي، إتجاه الشرقي، << بإعتباره رجلا محاربا شرسا متوحشا يقوم بكل أنواع النهب والتنكيل، خالقا بذلك وراءه تعاسة و شقاء لا يوصفان ويمثل الرجل المسلم كل تعبيرات العدوانية بحركة ميل قوي إلى القتل >>[2].

ونلمس فيما قدمته الرواية من صفات و سلوكات الأنا الشرقي، << و في سنوات الصراع تلك إنتشر القحط، و التقنين في البلاد كما في إرجاء العالم، و كذلك التهريب و كل أنواع التعامل غير المشروع، و كان بعضهم يمارسها من أجل البقاء و بعضهم الآخر للثروة، مارس أخي تلك التجارة بدوره، و لكن ليس من اجل البقاء و لا من أجل الثروة >>[3].

فأفعال " سالم " السيئة كانت مبررة، لأن الحرب كانت دافعا أساسياً لتلك السلوكات السلبية نتيجة المآسي التي كان يعيشها داخل الأسرة و خارجها و يتبين ذلك في قول عصيان << كيف يمكن الشرح له عما حرم منه أخي ؟ >>، فلو لم أكن متأكدا من أني محبوب لما

---

[1] سلالم الشرق، المرجع السابق، ص 71.

[2] ينظر : محمد نور الدين أفاية، الغرب في المتخيل، صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، ط1 الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص 114 – 115.

[3] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 114 – 115.

توقفت المرارة عن النمو الداخلي و لكني قررت يوما و نتيجة للحرب أن أقوم بعمل مثل الإغتيال أو الإنتحار فتصرفات سالم السيئة، تشبه هذا العمل أو ذاك >>[1].

من هنا نخلص إلى أن سالم هو إنسان فاقد لمشاعر وعواطف الحب والحنان لأنه تربى يتيما بلا أم، بالإضافة إلى قسوة أبيه و سيطرته، لذلك إستبدت به مشاعر القسوة والأنانية بالإضافة إلى أوضاع الحرب وما حملته في نفسه من مشاعر الخوف والآلام و الدمار ، التي كان لها أثر سلبي في سوكاته.

و عليه فقد قدم لنا الراوي " الأنا العربية " من خلال الصور المشوهة التي رسمها لها الغربيون و التي وسمت الشرقي (بالوقاحة، الكسل و الطمع ...)، من هنا بدا العربي كائنا حقيرا لا يهمه في الحياة سوى الحصول على المال، << لم يكن سالما إلا مراهقا بدينا، كسولا، متمردا على الدراسة ذا طبيعة مشاكسة لا شيئ ينكهها، و كان الجميع مقتنعين بأنه لن ينجح في أمر فبأي مستقبل يمكن التكهن له ؟ غير أنه سيبدأ بتبديد حصته من الثروة و بعد ذلك يعيش على حساب أخيه أو أخته >>[2].

يحاول الكاتب أن يرد منا على ذلك الموقف عبر مشهد واقعي يبرز نزاهة الشرقي وقيمه وأخلاقه، << أخوك... سالم....ملعون اليوم الذي ولد فيه!.

<< لا تقل هذا !.

<< لماذا يجب علي أن لا أقول هذا ؟ لأنه من لحمي و دمي ؟ و إن كنت مصابا بورم ينخر جسمي هل يجب أن أحبه لأنه من لحمي و دمي ؟ >>[3]، و هنا يبين لنا حقيقة الإنسان

[1] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 116.

[2] المصدر نفسه ، ص 114.

[3] المصدر نفسه، ص 114.

الشرقي الذي ربما يكون قاسٍ غير متفهم، لكنه في النهاية حامل مبادئ و قيم وأخلاق لا يمكنه التخلي عنها، بأي شكل من الأشكال، خاصة عندما يتعلق الأمر بالروابط الأسرية.

كما تظهر لنا الرواية صورة أخرى لنظرة الغربي " للأنا " الشرقي مسلوب الحريته والحقوق داخل بلاده، كما تظهر مدى القسوة التي كان يعامله بها " الآخر "، << و مثلت هذه الحادثة بالنسبة لأهلي أسوأ ما كان من الممكن أن يصيبهم عاش كل الناس الذين كانوا يترددون على منزلنا قبل هذه الأحداث، و لأشهر طويلة حالة الخوف من الإعتقال، إذ كان منزل كيتدار ملجأ للمهربين و مستودع للبضائع غير الشرعية >>[1].

وهنا يحاول الكاتب أن يبين لنا أنه رغم عراقه هذا المنزل و شرفه و ما يحمله من تاريخ عريق ، إلا أنه خضع للإهانة و تشوهت صورته، و هذا نتيجة للحرب التدميرية على الشرقي.

وتتكرر النظرة السلبية نفسها للآخر الغربي إتجاه الأنا الشرقي في صورة سولوكات الإحتقار والإستعلاء الغربي على " الأنا " الشرقي، << في يوم من الأيام حصل ما كان لابد أن يحصل تمركز جنود من الجيش الفرنسي حول البيت من كل جهاته طالبين من السكان عبر مكبر الصوت عدم المقاومة، والخروج مرفوعي الأيدي، كان هجوما نظاما كأنهم يريدون سحق موقعا للعدو >>[2]، فالغربي كان يحاول جعل الشرقي خاضعاً لسلطته و لإرادته، و لحكمه، وهذا ما حدث في فلسطين أيضا وخاصة في " حيفا "، حيث تصف لنا " **كلارا** "، تلك الشقة التي تقع في أحياء "حيفا "، و التي تحتدم فيه المعارك بين اليهود و العرب إذ لا يمر يوم دون معارك أو إعتداءات . لم تكن " **كلارا** " تتوقع هذا النوع من العنف، فكلارا و رغم عدم تقبلها لهذه القسوة، كانت تنظر إلى العرب على أنهم ضحية فلم تكن لهم أية علاقة بما حدث في أوروبا و إعتبرته سوء فهم تراجيدي << كانت تقيم الأمور في رسالتها بهدوء دون أي تحيز، في

[1] سلالم الشرق، المصدر السابق ، 117.

[2] المصدر نفسه ، ص 115.

حين أن الأحقاد كانت في ذروتها عند اليهود كما عند العرب <<[1]، و هنا يبين لنا الكاتب أن الآخر الغربي إن أبدى تعاطفا مع الأنا الشرقي إلا أن ذلك لا يلغي مشاعر الحقد الدفيق التي تسكنه منذ أمد بعيد .

يتضح لنا مما سبق أن أسس النظرة الغربية إلى الشرقي ترجع إلى ذلك الإرتباط الوثيق بين الإستشراق و الإستعمار، الذي نجم عنه تلك الصور السلبية للشرق، عندما حاول الغرب عن طريق المؤسسة الإستشراقية الحاملة لثقافة أوروبية تفوقية و متعالية صنع شرق منمط بالقوة، أقام حدود علاقته معه و نظرته إليه من خلال مجموعة من الأحكام المسبقة،.

إن الإستشراق وفق ما يراه " **إدوارد سعيد** " هو محكمة أو سجن و مدرسة لتفسير الشرق بحضارته وشعوبه، و أقاليمه المحلية من جهة وهو محكمة من حيث كونه يقيم الشرقي في صورة شيئ يحاكمه المرء كما في محكمة العدل، وهو سجن يؤدب فيه الشرقي[2]>> لم يكن يجهل قط أي كائنين طريفين و مسالمين هما أبي وتوبار، لكن الكولونيل نجح في إنقاذه من الإعدام بحكم عمره إذ كان هناك ثلاث أحكام بالإعدام على المهربين بينما حكم على سالم خمسة عشرا عاما خفضت إلى ثلثيها بسبب الإعفاءات المتتالية <<[3].

وهكذا نجد إعجاب الغربي بالشرق و إفتتانه به سرعان ما تحول إلى رغبة في إمتلاكه و السيطرة عليه، فهو إن كان ينظر إلى للشرق كجغرافية و كإتصال فكري و ثقافي وكمعطيات روحية بإعجاب، فإنه في مقابل ذلك ينظر " للشرقي " بصورة خاصة " للمسلم " بإحتقار وإزدراء ذلك أنه يقنع نفسه أن "الأنا" الشرقي لا يستحق هذه الأرض لذلك فمن حقه إستعماره و فرض سيطرته عليه.

[1] سلالم الشرق، المصدر السابق ، ص 129.

[2] إدوارد سعيد، الإستشراق، ص 349.

[3] سلالم الشرق، المصدر السابق ، ص 117 .

وعليه تتبدى نظرة " الآخر " في هذه الرواية " للأنا " في عدة مستويات حيث نجد النظرة السلبية المتمثلة في عدوانيته للإحتلال الفرنسي على الدولة العثمانية، بالإضافة إلى عدوانية اليهود ضد الدولة الفلسطينية فهذا الآخرالغربي شكل المستعمِر، بالنسبة " للأنا " رغم تعدد جنسياته من فرنسي إلى يهودي يبقى هدفه واحد، و هو السيطرة على الفكر و الحضارة والإنسان الشرقي بشكل عام، و خلافا للنظرة السلبية تظهر لنا الرواية نموذجا عن النظرة الإيجابية – ولو في ظاهرها – للشرقي من خلال شخصية " كلارا " التي أحبت الشرق وفضلت العيش مع خالها ستيفان ، << حب كلارا و ولعها بالشرق جعلها تتفهم مواقف العرب وتعارض اليهود الذي هو أصلها و إنتماؤها >>[1] هروب من المأساة و الإضطهاد الذي عاشته في وطنها، هي و خالها << عندما وجدته بمساعدة جمعية معتنية بالمعتقلين، سألته عما ينوي القيام به، لم يفكر بالعودة إلى غراز نهائيا، كان يريد الرحيل إلى فلسطين و ها أنا آخذه إليها >>[2].

وعليه لقد شكل الشرق وسيلة للهروب من المجتمع الغربي الذي لم يجلب للإنسان سوى الدمار، وخاصة خلال الحربين العالمية الأولى و الثانية >>[3].

لقد حاول **أمين معلوف** من خلال نصه الروائي أن يؤسس علاقة تفاهم بين الأنا الشرقية والآخر الغربي كما سعى للفت النظر للغربي المحب للشرق أكثر مما ركز على الآخر المستعمِر و سعت إلى الحد من التوتر بين " الأنا " و" الآخر ".

ويلاحظ أيضا أن النظرة الغربية الضيقة للشرقي بدأت تخف حدتها في عصر العولمة إذ باتت وسائل المعرفة متاحة للجميع ، بفضل سهولة الإتصال بين أرجاء العالم حيث نجد اليوم كثيرا من الشباب الغربي، يغامر بالسفر إلى الشرق، ليعيش ثقافة و تفاصيل حياته اليومية بعيدا عن النظرة الوهمية القرائبية التي حملت آباءه و أجداده عن الشرق ساعيا إلى التعرف

---

[1] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 162.

[2] المصدر نفسه، ص 124.

[3] ماجدة حمود، صورة الشرق، المرجع السابق، ص 74.

عليه، بعيدا عن الصور الوهمية التخييلية التي نشأ عليه، مما يسهم في إزالة سوء التفاهم وثقافة الكراهية بين الشرق والغرب >>[1]، كما فعلت " كلارا " في رواية " **سلالم الشرق** " وبالعودة إلى نص الرواية نجد مساهمة " كلارا " المرأة المناضلة، الرافعة للتحدي التي حاولت رسم صورة حسنة للشرقي و ذلك بدعم الصحافة و وسائل الإعلام، و يتجسد ذلك في << لقد جاءت بزيارة عمل صالح صحيفة لجنتنا التي يصدر العدد الأول منها ، وقد فكرت بنشر بعض روايات المناضلين العرب و اليهود الذين قاتلوا ضد النازية في مختلف البلدان المحتلة كان هدفا واضحا، إقناع الطرفين كليهما بوجوب وقوفهما في جهة واحدة و نضالهما سوية من أجل مستقبلهم المشترك، من جهة النظر تلك يمكن لشهادتي أن تكون ذات فائدة >>[2].

إذن فصورة العربي في عقول و مخيلة الأمريكيين و الغرب بشكل عام تبقى صورة سلبية، و تتحمل وسائل الإعلام جزءا من المسؤولية في تكريسها، و رغم سلبية هذه الصورة العربية في الأذهان الغربية، إلا أن الجمهور الأمريكي يعي تماما مصالحه عند العرب لهذا تراه يؤكد ويشجع التعاون مع الأقطار العربية .>>[3]، و يبرز ذلك م خلال شخصية " كلارا" المرأة الغربية المهتمة بالثقافة العربية والمنفتحة عليها والمحبة لها المتفهمة للمجتمع العربي وبمشاكله وقضاياه، التي أرادت أن تساهم في إزالة العداء الذي يُكِنُّهُ الغربي للعرب وهو عداء تكوّن وتراكم على مر القرون للأسباب التاريخية المعروفة .

لذا فإن << العرب مطالبون ببذل جهد إعلامي و ثقافي خارجي كبي، يمحوا تلك الصورة القوالبية المشوهة التي رسختها القوى المعادية للأمة العربية في أذهان الشعوب الأوروبية

[1] ينظر: ماجدة حمود، إشكالية الأنا و الآخر، المرجع السابق، ص 23.

[2] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 133.

[3] ينظر: إياد عماوي، الأنا و الآخر و دورهما في رسم و تحديد العلاقة بين الوطن العربي والغربي، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2007، ص 31، موقع المنشاوي للدراسات و البحوث www.minshawi.com

والغربية بشكل خاص ليحلوا محلها صورا أصح و أكثر دقة وأمانة .>>[1]، أما " كلارا " فهي حالة إستثنائية وفردية تشكل جزءا بسيطا من عموم الصورة الكلية السلبية للإنسان الشرقي في المخيلة الغربية ومع ذلك لا يمكن أن ننكر وجودها، لا يمكن أن ننكر الصورة الإيجابية التي قدمها الكاتب " للآخر " بعيدا عن النظرة الإستعلائية الرافضة " للأنا الشرقي.

لقد حاول **أمين معلوف** تقديم رؤية معمقة للشرق ليتمكن من نقل صورته بعيدا عن الرؤية الإسقاطية الإيديولوجية الجاهزة التي تختزل الشرقي في جملة من صفات التخلف والدونية محاولا تقديم رؤية معمقة متصلة إلى حد كبير بالواقع من جهة و حقائق التاريخ من جهة أخرى، لعله يؤسس بذلك نظرة تحترم الآخر و ترى دوره الفاعل الذي لا غنى عنه في التاريخ الإنساني، من هنا كانت << أعمال **أمين معلوف** في معظمها نوعا من الإحتفاء بتقييم الشرق المنقذ للإنسانية، لذلك لم نجد الشرق جنة غرائبية و إنما جنة تسكن الروح إليها .>>[2]

نقلت لنا رواية " **سلالم الشرق** " بعض علاقات الصداقة و التفاهم و الإلتقاء من الشرق والغرب من خلال الأحداث التاريخية التي جمعت الشرق و الغرب خاصة خلال أحداث الحرب العالمية التي شارك فيها العرب (الشرقيون) مثل " عصيان " مما أكسبهم بعض القبول من قبل الغربيين ، لأن الغربي رأى في الشرقي في تلك الفترة وسيلة لتحقيق مصالحه الشخصية، << كان برتران ينظر إليَّ طوال الوقت بفرح في البداية ثم بدهشة ثم بحزن، و فجأة قام برتران بنصف دوره كأنه شعر بالندم ثم عاد إليَّ و أحاطني بذراعيه و ضمني إلى صدره بوهة طويلة .>>[3]

---

[1] عبده عيود، هجرة النصوص، دراسة الترجمة و التبادل الثقافي، إتحاد الكتاب العرب، ط1 دمشق – سوريا 1995، ص 67.

[2] ماجدة حمود، صورة الشرق، المصدر السابق، ص 115.

[3] سلالم الشرق، المصدر السابق، ص 193.

وبناءا على ما سبق نخلص إلى أن الكاتب حاول أن يقدم لنا صورة عن الشرق تخالف مقولة الشاعر البريطاني أواخر القرن التاسع عشر راديار كيلنج Radiard Kipling << بأن الشرق شرق والغرب غرب، وأن التوأمين لن يلتقيا أبداً << [1]، محاولا التركيز على السمات الإيجابية التي تسمح بإقامة لقاء وحوار حضاري يخدم الإنسانية تتجاوز من خلاله النظرة الإختزالية السلبية لكلا الطرفين (الشرق و الغرب) وتتحرر قيود وسلطة الأنساق والصور النمطية والأحكام الجاهزة التي كان للإستشراق دور كبير في إنتاجها وترويجها وتكريسها في الفكر العربي والغربي على حدٍّ سواء.

---

[1] ينظر : ماجدة حمود، صورة الشرق، المرجع السابق، ص 113.

خاتمة

الخاتمة:

لقد قدم لنا الخطاب الروائي العربي من خلال النصوص الروائية التي وقفنا عندها التحولات و التغيرات التي عرفها " **الأنا الشرقي** " في المراحل التاريخية المختلفة لبناء مجتمعه من خلال مقارنة نفسه بالآخر الغربي من خلال وصفه للأحداث السياسية والتاريخية و الاجتماعية وتحليله للصراعات و المشاكل التي تعرض لها المجتمع الشرقي في فترة معينة من التاريخ.

هناك إنسجام و إلتقاء في علاقة **الشرق بالغرب** في رواية " سلالم الشرق " التي جسدت لنا بعض قيم الحب و التفاهم بين الطرفين عكس الروايات العربية الأخرى التي نقلت لنا صورة المهاجر الشرقي التي يتعرض للإضطهاد و البؤس و الذل و الخضوع الآخر الغربي الذي يرفض تواجده في أرضه مع وجود بعض الصور السلبية التي لم تخرج عن إطار النمطي لتناول الأنا الشرقي و الآخر الغربي.

و في الختام يمكننا القول : إن " أمين معلوف " من خلال رواية " سلالم الشرق حاول أن يقدم صورة إيجابية عن علاقة الأنا الشرقي بالآخر الغربي المختلف عنه دينيا وثقافيا و سياسيا وإجتماعيا، صورة حاولت الفكاك من أواسر الأحكام المسبقة و زيف التنميطات الجاهزة بالرجوع إلى التاريخ و البحث عن جذوره و أصول العلاقة بين الأنا الشرقي و الآخر الغربي و قد فاده هذا المسعى إلى تقديم بعض علاقات التفاهم و القبول والصداقة بينهما، إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور ملامح النظرة الإستعلائية و الفوقية الغربية القائمة على أساس الرغبة في التملك التي أكدتها ظروف الحرب الواقعية القائمة بينهما والتي أقرتها الأحداث التاريخية التي جمعت بينهما.

لقد قدمت هذه الدراسة بتقصي تمظهرات صورة الشرق في الخطاب الروائي العربي بشكل عام و في رواية " سلالم الشرق " بشكل خاص توضيح طبيعة العلاقة التي تجمع " الأنا الشرقي " المعقدة مع " الآخر الغربي، كما حاولت أن تظهر أهم الملامح

الخاتمة:

المكونة لحضور الشرق بحضارته و تاريخه و ثقافته في النص الروائي العربي من خلال إتخاذ رواية سلالم الشرق نموذجا للدراسة.

و قد توصلت الدراسة إنطلاقا من هذا المسعى و ضمن المنهجية التي إعتمدناها إلى جملة من النتائج إرتبط البعض منها بالموضوع العام للدراسة المتمثل في إبراز صورة الشرق في الخطاب الروائي العربي بين إفرازات الإستشراق و مخلفات الظاهرة (الإستعمارية / الكولونيالية) فيما إرتبط البعض الآخر بظاهرة اللإستشراق و علاقتها بميلاد ثنائية **الشرق و الغرب** في النص الروائي العربي و كذا بتحليل أهم تمظهرات صورة الشرق في رواية " **سلالم الشرق** ".

1- إتضح لنا من خلال هذا البحث أن الإستشراق الذي جاء بثوبه الفكري إلى الشرق كأكبر مؤسسة عملت على خلق آخر إستعماري تختفي وراءه القوة و المؤسسة والمصلحة الساعية وراء تدمير الشرق، كما ساهم الإستشراق في تكوين صور نمطية تحط من قيمة الشرقيين والعرب و تصفهم بجملة من الصفات الدونية مثل الكسل والتعصب والسذجة والتخلف.

2- يبين البحث أن الظاهرة الكولونيالية سواء تعلقت بالإستعمار المباشر أم غير ذلك قد كشفت للشرقيين شراسة الغرب و إستغلاله حين ساهم في تكريس مظاهر الضعف و التخلف بكل أنواعه لطمس هويات و الخصوصيات الثقافية و الحضارية للشعوب الشرقية العربية وبذلك تشكلت صورة خاطئة عن الشرق في المخيلة الغربية.

3- لقد إقترنت ثنائية **الأنا و الآخر** في دراستنا هذه لثنائية أخرى، إصطلح عليها، تسمية ثنائية (**الشرق و الغرب**) التي ظهرت في ظل اللقاء الحضاري، و التاريخي الكبير الذي جمع بينهما و قد كان لابد من نتائج هذا اللقاء بين الطرفين، و إنطلاقا من تجربة كل منهما مع الآخر و نظرته إليه، تشكل صور كل منهما في وعي الآخر بما تفرضه تلك الصور من مواقف إيجابية أو سلبية في إطار التعامل و الإحتكاك الذي حصل بينهما.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ- القرآن الكريم برواية ورش

أ- المصادر :

1-أمين معلوف، سلالم الشرق، تر : منيرة مصطفى، ورد للطباعة و النشر و التوزيع، ط2 دمشق – سوريا، 1998.

2-سهيل إدريس، الحي اللاتيني، دار الآداب، ط7، بيروت – لبنان، 1977.

ب- المراجع :

1-أحمد الزغبي، إشكالية الموت في الرواية العربية و الغربية، مكتبة الكتاني إربد، (دط) الأردن، 1994.

2-أحمد درويش الإستشراق الفرنسي و الأدب العربي، دار غريب، (دط)، القاهرة – مصر 2004.

3-رجاء نعوم طنوس ثنائية الشرق و الغرب دراسات في نصوص أدبية معاصرة، دار المنهل اللبناني، ط1، بيروت – لبنان،2009.

4-سالم المعوش، صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، بيروت – لبنان 1998.

5-شربل داغر، الشعرية العربية تحليل نص، دار توبقال، ط1، المغرب، 1988.

6-صلاح صالح، سرد الآخر، الأنا و الآخر عبر اللغة السردية, المركز الثقافي العربي، ط1 بيروت – لبنان، 1999.

7-عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، (دط) الجزائر، 1986.

8- الطاهر لبيب، صورة الآخر الغربي ناظرا و منظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 بيروت – لبنان ، 1999.

9-عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، دار العودةط5 , بيروت – لبنان، 1988.

10-علي بن إبراهيم الحمد النملة الشرق و الغرب، منطلقات العلاقات و محدداتها، المركو الثقافي العربي، (دط)، الرياض – السعودية، 2005.

11-عبد القادر الرباعي جهود إستشراقية معاصرة في قراءة الشعر العربي القديم، دار جرير ط$_1$ عمان – الأردن، 2008.

12-عبد عيود، هجرة النصوص، دراسة الترجمة و التبادل الثقافي إتجاه الكتاب العرب، ط$_1$ دمشق –سوريا، 1995.

13-المبروك المنصوري، الدراسات الدينية المعاصرة من المركز العربية إلى النسبية الثقافية اللإستشراق، القرآن، الهوية، القيم الدينية عند العرب و الغرب و اليابانيين، دار المتوسطة للنشر ،ط$_1$ تونس، 2010.

14-فؤاد كامل، الغير في فلسفة سارت، دار المعارف،(دط)، مصر، (دت).

15-ماجدة حمود إشكالية الأنا و الآخر، نماذج روائية عربية المجلس للثقافة والفنون والآداب،(دط) الكويت – السعودية، 2013.

16-ماجدة حمود، المقاربات التطبيقية في الأدب المقارن، إتحاد كتب العرب،(دط)، دمشق – سوريا 2000.

17-محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص المؤسسة العربية للنشر، (دط)، تونس، 2006.

18-محمد راتب حلاق نحن و الآخر دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث و المعاصر، إتحاد كتاب العرب،(دط)، دمشق – سوريا، 1977.

19-محمد نور الدين أفاية، الغرب في المتخيل صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيطن دار المنتخب، ط$_1$، المغرب،2000.

20-محمد نور الدين أفاية، الغرب في المتخيل العربي، دار المنتخب،ط$_3$ ، الشارقة – الإمارات العربية المتحدة، 1966.

21–محمد نور الدين أفاية، المتخيل و التواصل، مفارقات الغرب و الغرب،دار المنخب العربي،ط1 بيروت – لبنان،1993.

ج– المراجع المترجمة :

1–إدوارد سعيد، الإستشراق، المفاهيم الغربية للشرق،تر:محمد عناني، دار بنجو العالمية، رؤية ط1 القاهرة – مصر، 1995.

2–إدموند هوسرل، فكرة الفيمونولجيا، تر : فتحي إنقرو،المنظمة العربية للترجمةن ط1، بيروت – لبنان.

3–تدروف نرفيتيا،فتح أمريكا،تر:بشير السباعي،دار سينا،ط1،القاهرة – مصر.

4–تيري هنتش،الشرق الخيالي و رؤية الآخر صورة الشرق في المخيال الغربي الرؤية السياسية الغربية للشرق الأوسط، تر : عبد الكريم محمود،دار هدى،ط1، سوريا لبنان، 2006.

5–حلمي ساري،صورة العرب في الصفحات البريطانية،دراسة للثبات و التعبير في مجمل الصورة،تر :عن عبد الوهاب، مركز دراسة الوحدة العربية،ط1 ،بيروت – لبنان، 1988.

6–دانيال فيري باجو، الأدب العام و المقارن، تر : عدنان السيد، إتحاد الكتاب العرب،(دط) دمشق – سوريا، 1997.

7–ديانا هيلز،روبرت هيلز،العناية بالعقل و النفس، تر : عبد العلي الجسماني، الدار العربية للعلوم،ط1 لبنان، 1999.

8–رامان سلدن، التقدم الأدبي، تر : جابر عصفور، دار قباء، (دط)، القاهرة – مصر 1988.

9–روجر آلان، الرواية العربية،مقدمة تاريخية و نقدية، تر : حصية منيف، المؤسسة العربية للدراسات و النشر, ط1، بيروت – لبنان، 1986.

10–ضياء الدين ساردار، الإستشراق، صورة الشرق قي الأدب و المعارف الغربية،تر : فخري صالح، هيئة أبوظبي للسياحة و الثقافة، (دط)، أوبظبي – الإمارات العربية السعودية، 2002.

د- المعاجم:

1-المعجم الفلسفي، معجم اللغة العربية مصر، عالم الكتب، بيروت- لبنان، 1979.

Vocabaire technique et gitique de la philosophie, la lande.

2- جميل ضليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج1، (د ط)، بيروت، لبنان، 1982.

3-عبد القاهر الجرجاني، كتاب التعريفات تحقيق و تقديم إبراهيم بياري، دار الكتاب العربي ط1، بيروت - لبنان، 1985.

هـ- الدوريات والمجالات :

1-حسام الخطيب، أضواء على موقف فريد من الفن، ع65، 1965.

2-خليل بروني، هادي نظر منظم، كاوة خضري، صورة مايا كوفسكي في شعر عبد الوهاب البياني وشيركوبيكه س، دراسة صورلوجية في الأدب المقارن، إضاءات نقدية (فصيلة محكمة) السنة الثانية ع8 شتاء، 1391ش، كانون الأول 2012.

3-ماجدة حمود، صورة الشرق لدى هرمان هيسه، مجلة جامعة دمشق،ع19، دمشق - سوريا2003.

4-محمود معياري، الذات و الآخر في نظرية الشاب الفلسطيني، مجلة العلوم الاجتماعية ، ع1 1977.

5-نبيل بيهم، دراسة في كتاب إدوارد سعيد " الإستشراق "، الإستشراق علم موضوعي أم سياسة مقنعة، مجلة الطريق، ع5تشرين الأول،1981.

و- البحوث و الرسائل الجامعية :

1-إياد عماوي، الأنا و الآخر و دورهما في رسم و تحديد العلاقة بين الوطن العربي و الغربي جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2007.

2–شريف بموسى عبد القادر، أشكال الصراع الحضاري في الرواية العربية، مقاربة نفسية أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الدولة في الأدب العربي الحديث، جامعة تلمسان – الجزائر .2004

و– المواقع الإلكترونية :

1–إيمان صالح، جدلية العلاقة بين الشرق و الغرب و هاجس الخوف المتبادل

2–علاوة كوسة، الواقع الغربي في المتخيل الشرقي، قراءة في كتاب صورة الفرنسي في الرواية المغربية، عبد المجيد حنون، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، من موقع:

Reviesivniuouargla.dz 02/2017

3–مقدمة حول الإستشراق و المشرقين من الموقع http//islam.web.net الشبكة الإسلامية .2003

الملحق

الملحق:

أ-المؤلف و مؤلفاته :

أمين معلوف أديب و صحفي لبناني , إمتهن الصحافة بعد تخرجه فعمل في الملحق الاقتصادي لجريدة النهار البيروتية و في عام 1976، إنتقل إلى فرنسا، حيث عمل في مجلة " إيكونوميا " الاقتصادية و إستمر في عمله الصحفي فترأس تحرير مجلة " جونافريك "وكذلك إستمر في العمل في جريدة " **النهار** " اللبنانية 2010.

نشر مجموعة من الأعمال و الروايات نذكر منها :

1- الحروب الصليبية كما رأها العرب عام 1983 .

2- ليون الإفريقي 1984 إلى مكنته من من الحصول على جائزة الصداقة الغربية .

3- حدائق النور سنة 1991 .

4- صخرة طينوسة 1993 و قد نال عن هذه الرواية جائزة كونكور كبرى الجوائز الأدبية الفرنسية .

5- " سلالم الشرق " 1996 .

6- رحلة بالدراسات سنة 2000 .

7- كما حصل على شهادة الأمير " أستيوس " للآداب سنة 2010 .

ب- تلخيص مضمون رواية " سلالم الشرق " :

تحكي رواية " سلالم الشرق " التاريخية قصة " عصيان " بطل الرواية الذي يعود أصله إلى أحد الأسر العثمانية الحاكمة، أراد له والده منذ أطلق عليه هذا الإسم المتمرد أن يكون بطلا ورمزا ثوريا إلا أنّ " عصيان " كانت له رغبات بالسفر خارج الوطن و الحصول على شهادة الطب و الهروب و التحرر من السلطة التي يفرضها عليه أبوه داخل المنزل، و الأفكار ونمط الحياة التي يسعى ان يطبقها على إبنه عصيان , هكذا يسافر عصيان متحججا برغبته بالدراسة في جامعة باريس و سرعان ما حصل على سمعة الكاتب المتفوق، لكن حياته تأخذ مجرى آخر خلال زيارة "برتران" له .

وأعتبرت أول إنطلاقة لعصيان في دخوله المقاومة من خلال تعرفه على شبكة للمقاومين الفرنسيين إبان الحرب العالمية الثانية ليجد نفسه متورطا في توزيع المنشورات وغيرها من نشاطات الشبكة، و هناك يتعرف على " كلارا " الفتاة اليهودية و سرعان ما يقعا في الحب و يعود بعد ذلك إلى بلده منتصرا بطلا كما أراد له والده فتلحقه بعد ذلك " كلارا " و يتزوجا دون أن يمنعهما شيئا لإختلاف العرق أو الدين , وافق والده من زواجه بكلارا و إعتبرها مرأة متحررة، و مثقفة، و مناضلة و بها تلتقي الحضارات و القوميات في هذه الرواية.

ونجد هذا الإلتقاء ليس في " عصيان " و " كلارا " إنما في زواج أبيه بإبنة صديقه الأرميني "نوبار"، و بعد زواجهما، تنتقل إلى العيش في " حيفا " مع خالها و تواصل ممارساتها النضالية حيث تكون شبكة لمجموعة من الشباب النضالية , هدفهم فك الصراعات والحد من الحرب بين فلسطين و إسرائيل، إذ تنتقل هي و زوجها عصيان إلى " حيفا " و هناك يرجع عصيان إلى أبيه بعد سماعه أنه على فراش الموت و يترك زوجته و إبنته التي لم تولد بعد وهنا يظهر أخوه الشرير و سيطرته على عصيان و حياته حيث يستولي على حصة أخيه " عصيان " من الميراث و يكون وصيا عليها .

بعد وضع " عصيان " في المصح للمرضى العقليين، و بعد تعرضه لصدمة موت أبيه وإبتعاده عن زوجته و إبنته ,بقي عصيان في المصح يأخذ المهدآت و الأدوية لمدة عشرين

عاما حيث زاره صديقه " برتران " و تعاطف معه لحالته إذ كان ينقل المعلومات لكلارا عن حالة " عصيان " المتدهورة و ضعفه.

كما وقفت أخت عصيان " عفت " إلى جانبه و كانت تسانده وتبعث الأمل فيه من أجل العودة للحياة مرة أخرى لكن " عصيان " فقدها و لم يعد له الأمل إلا بعد عودة إبنته الشابة الجامعية " ناديا " التي زارته بعد تحرره من المستشفى بسبب الصراعات و المعارك التي كانت قائمة كل يوم حول المصحح تزوجت إبنة " عصيان " و إنتقلت إلى العيش في البرازيل و في الأخير إلتقى مع زوجته " كلارا " في نفس المكان الذي تزوجا فيه على نهر السين .

فهرس الوضوعات

الفهرس:

بسملة

شكر وعرفان

الإهداء